الكاتب: علي الطليمي

المصمم: أنس محمد

العمل: رواية

اسم العمل: لُطف

للتواصل مع الكاتب عبر فيسبوك:

https://www.facebook.com/Ali.eltlimy.author

عبر الإيميل:

Lym152785@gmail.com

للتواصل مع المصمم عبر فيسبوك:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100071084052153

إهداء

إلى مصدر الدعم الدائم و الأقوى "أهلي" و إلى أصدقائي الذين ساروا معي على الدرب حتى وصولي لتلك النقطة..
-ماجد الشعراوي
-أدهم حسين
-أنس محمد

وإلى : فرح جودة

و إلى الكاتب العِملاق محمد عِصمت (بتاع الرعب)، قلمه كان مصدر إلهام لي و زرع الشغف داخلي.
و إلى رُواق الإلهام العربي
و أخيرًا إلى الكاتبة القديرة "سماح حافظ" لأنها هي سبب بدايتي و إخراج موهبتي أمام الكُل.. شكرًا لكِ

عزيزي ثيو:
إلى أين تمضي الحياة بي؟ ما الذي يصنعه العقل بنا؟ إنه يفقد الأشياء بهجتها ويقودنا نحو الكآبة...

... إنني أتعفن مللًا.. لولا ريشتي وألواني هذه، أعيد بها خلق الأشياء من جديد.. كل الأشياء تغدو باردة وباهتة، بعدما يطؤها الزمن.. ماذا أصنع؟ أريد أن أبتكر خطوطا وألوانا جديدة، غير تلك التي يتعثر بصرنا بها كل يوم.

كل الألوان القديمة لها بريق حزين في قلبي. هل هي كذلك في الطبيعة أم أن عيني مريضتان؟ ها أنا أعيد رسمها كما أقدح النار الكامنة فيها.

كلمات قالها الرسَّام الشهير "فان جوخ" قبل قتل نفسه بثوان.. وصفت مدى معاناته في تلك اللحظة.. أصبح في تلك اللحظة هو الحليف و العدو.. الخير و الشر.. الماء و النار..
فحيح لهب يصدر من داخله، كاد من شدته أن يقضي عليه.. كذلك بعض الحروب التي نخوضها بداخلنا.. الكامنة بذلك الجسد الغير قادر على التأقلُم.. نسأل حالنا أحيانًا.. لِمَ يحدث هذا بي؟ ولِمَ أنا بالذات؟

صراعاتك تلك، ما هي إلا مجرد وهم.. و ما أقوى ذلك سلاحًا.. فبستطاعته تدمير امم و عوالِم، فقط أنظر للأمر من ناحية أخرى.. و حتمًا ستجد الحل لتلك المعضلة..

(١)

قدِمتُ من عملي كالعادة و انا في غاية الكسل و الخمول التام.. كانت الساعة توشك عقاربها على التاسعة مساءً.. أزَلت حقيبتي من على كتفي و ألقيتها بعيدًا.

ارتميت على سريري ككيس قمامة يُرمَى بلا أدنى اهتمام.. غصت بين طيَّات سريري الذي كان يجذبني كجذب المغناطيس لأي معدن؛ فكنت عندما استلقي عليه، أشعر براحة تغنيني عن كل أحداث يومي.. اتناساها في تلك اللحظات المريحة للغاية..

نظرت إلى سقف غرفتي قليلًا.. اتأمل في الشقوق التي تملأه.. ففكرت أن أذهب في الغد لجلب الصنايعية لترميمه..

ذهبت في اليوم التالي للإتيان بأحد الصنايعية المتقنين لعملهم..

طلب مني الصنايعي ترك شُقَّتي لمدة اسبوع لكي يتمّ عمله.. أخذت حقيبة بها بعض ملابسي، ووضعت بها بعض المال الذي سيكفيني لذلك الأسبوع.
انطلقت إلى أقرب فندق من بيتي و حجزت غرفة.
كانت غرفة مريحة سرارئها و مطلة على مسبح و المنظر ليس بالسيء.. فتحت التلفاز و شاهدت بعض أفلام الأكشن كعادتي.. ثم جاء وقت الغداء. نزلت الى المطعم و الذي كان بنظام (اوبِن بوفيه) قد كنت عاشقًا للأكل.. فجعلت آخد الأطباق و أملؤها بالطعام ثم أضعه على طاولتي.. بعد دقائق. قد أنهيت الطعام بكل وحشية، كفهد في البرية حين يصطاد غزالًا، يكون الغزال فريسته الألذ، وما

يعوقه فقط في اصطيادها، هي سرعتها الرهيبة.. و بالمثل، فما كان يعيقني أنا في تلك الوجبة، هو المال.. فاضطررت أن ادفع ضعف السعر المطلوب.. ذهبت لأقرب آلة ساحبة للمال و أخذت المبلغ و دفعته.

بعد تلك الوليمة الشهية.. وبعد أن ملأت باطني بطعامها الدسم، كان من الصعب بالنسبة لي أن اذهب لغرفتي، تكبدني العناء لأصل إلى الباب.. أعددت لنفسي كوب شاي ليحسن من مزاجي، وسيظل كوب الشاي هو الفاصل في أعنف الملاحم.. في نهاية اليوم، و في آخر اللحظات التي سأنهي فيها جميع الأحداث بإغلاقي لمقلتاي، وجدت الغرفة المجاورة لغرفتي، قد أغلق بابها بقوة، وبدأت أسمع بعض الصرخات المتبادلة بين رجل و أمرأة.. كان الفاصل بين غرفتي و تلك الغرفة هو جدار خشبي رقيق، فمكنني ذلك من سماع النقاش الذي دار بينهما...

قال الرجل في صريخ اوشك ان يحطم الجدار..

_ هنا أنا الرجل و أنا من آمر و كل ما عليكِ هو تنفيذ طلباتي.

ردّت عليه المرأة بصوت خافت رقيق.

_ ولكنك قد قلت لي سابقًا انك ستكون لي أبًا و أخًا، هل يعامل الأب أو الأخ ابنته او اخته بتلك الطريقة؟

ثم يدوّي صراخه المكان مرّة اخرى و يقول.

_ لماذا في كل مرة أطلب منكِ شيئًا تتذمرين بتلك الحِجّة؟ و لماذا تقاوميني من الأساس، كنتِ أنتِ و أمك في حالة مزرية للغاية، ثم جئت أنا و أنقذتكم من الهلاك.

_ كله كذب و خداع، لقد تزوجت أمي فقط لتلبّي نداء شهواتك (ثم عقّبَت بكلمة خرجت كالصاعقة) يا أيّها العقيم.

فسمعتُ صوت ضرب و صراخ من المرأة و هرولت مسرعًا إلى غرفتها.. طرقت الباب و لكن لم يرد أحد.. بعد دقائق من ركلي للباب بقوة، فتح لي رجل أصلع، في الخمسينات من عمره، ملامحه تُظهر حزن و بؤس.. بالطبع مرّ بتجارب صعبة في حياته.. سألته وسط ذلك الكلام المبعثر التي اختلقته دماغي..

_ هل لي بأن أعرف سبب هذا الضجيج في هذا الوقت من الليل؟

فنظر الرجل إلى المرأة، فتنحى جسده قليلًا لأراها، فظهرت لي ملامحها البريئة و هي تبكي بكسرة، بقيت اتأمل في وجهها الملائكي.. و سألت الرجل عن سبب ذلك النوش. فردّ عَلَيَّ قائلًا بأن سببه هو سوء تفاهم بينه و بين ابنته. لم اقتنع بما قاله ذلك المشؤوم. اعتذرت له و عدت إلى غرفتي. استلقيت على ذلك السرّير المريح و مازالت تلك البنت تراود ذهني بين الحين و الآخر. يجب عَلَيَّ إنقاذها من يد ذلك الشرير، المدّعي بأنه والدها.. وسط هذا الكلام، اتى شبح النوم منذرًا بحُلُم سعيد..

حلمت بها، و هذه المرّة هي لي أنا فقط.. كنا جالسان في إحدى المدرجّات نشاهد مباراة.. وجدتها فجأة تنتفض فرحًا لتسجيل فريقها لهدف، فنظرت إلَيّ و هي باسمة الثغر في منظر خفق له قلبي، و سرعان ما احتضنتني بقوة، كانت تلك اللحظات هي من الأفضل في حياتي. أتى شخص غريب من العدم، و امسك يدها بقوة، و ابتعد عنّي.

أفقت من نومي في نشاط لم أعتد عليه، قررت أن أذهب للتمشية قليلًا و لرؤية منظر النيل، بالصدفة.. وجدت زميلي ماهر ذاهب إلى العمل، حاكَيْته قليلًا عمّا حدث لي في تلك الأيام القليلة، ما لفت انتباهه هو أمر تلك المرأة، فقلت له بأنّي سأنتظره أمام الفندق عند انتهاء وردية عمله.. بعد بضع ساعات من أنتظاري في المقهى، انطلقت إلى الفندق لأنتظره.

و جدناها تركب السيارة مع الرجل اللعين ذلك، أشرت إلى ماهر ليراها. ظلت عينا ماهر لم تفارقها، فهي كالملاك المُنزّل، لم يرى مثلها قَطّ.

دخل أيمن إلى الفندق بعد أن تركه صديقه ماهر، و طلب من العاما رقم هاتف الغرفة 119 التي بجواري.. فأعطاه لي بدون تردد.
ذهبت إلى أنتظر مجيئهما، بكل شغف. سمعت صوت أقدامهما و فرحت كثيرًا، ثم سمعته يقول لها..
"ستبقين في الغرفة وحدك قليلًا، سأذهب إلى مدير أعمالي و آتي"

كانت هذه فرصة على طبق من ذهب لي، انتظرت قليلاً حتى تأكدت انه قد ابتعد بما فيه الكفاية، اتصلت على الرقم و ردّت عَلَيّ.
عندما قالت مرحبًا خفق قلبي بشدة.. اتبَعَت كلامها قائلًا..
_ مرحبًا يا آنسة

فردت بلكنة المتعجب..
_ أهلًا بحضرتك، من أنت؟!

فرددت بكل ثقة..
_ أنا الأستاذ أيمن الذي يقطن بالغرفة المجاورة

فَسَأَلَتني و قالَت..
_ هل أنت من طَرَقَ بابنا ليلًا؟
_ نعم إنّه انا.
_ تشرفت بمعرفتك، أنا لطف يا أستاذ أيمن

فسَأَلْتُ في خجل..
_ هل لي ان اعرف سبب مشاجرة امس بينكِ و بين ذلك الرجل؟. لقد سمعت بعض من تحاوركما بالأمس.
_ مبدئيًا يا أستاذ أيمن، ليس من الأدب أن تتسلط بتلك الطريقة علينا. سأحكي لك مختصرًا يا أستاذ أيمن قبل أن يعود.
_ بالطبع.. يسرّني ذلك.

_ بعد إذنِك لا تقاطعني.. انا لطف، وُلِدتُ لدى أسرة ميسورة الحال، دخلت المدرسة و حصلت على تعليم جيد، إلى أن توفى والدي، كل ثروته و التي كانت ضئيلة وقتها. قد توزعت على التجار بسبب مديونيته لهم، و لم يُترَك لنا شيء، كانت أمي تأتي ببذرة الفِشار و تعدّها في المنزل ثم تعبئها في أكياس لتبيعها في محطات القطارات و المولات. إلى أن أتى ذلك الرجل. رجل أعمال اسمه عاطف، في البادئ كان شخصًا لطيفًا، تزوج من أمي بعد أن رآها في إحدى المولات، بحجة سترها، ثم ما لبث ان احتكر جميع أملاكنا بسبب غناه الفاحش و سلطاته، أصيبت أمي بمرض، و ماتت إثره بسبب قلة العناية بها، كنت كلما أقول له أن أمي مريضة كان يجاوب بكل سذاجة و بقول "لا أملك المال اللازم لعلاجها" . و من تلك اللحظة إلى وقتنا هذا، كل ما أفعله هو خدمته، و إن قصرت في أداء مهمّة، يهددني بالطرد. و إن طُردت، لا ملجأ لي إلا السكة البطّالة.

_ ما هذه الوحشية، إن هذا الرجل من أقبح اللذين صادفتهم يومًا.

_ حسنًا يا أستاذ أيمن، أعتذر لك.. سأقفل الآن لأنه قد أتى.

دخل عليها عاطف و وجدها تغلق الهاتف، فسألها عن المتصل، فقالت له بأنها خدمة الغرف...

•••••••

مرّ يومي بكل اعتيادية، لم أرى روان إلا مرتين، في الأولى رأتني ثم تغاضَيت عن الأمر، ولكن في الثانية وجدتها وحدها، فانتهزت تلك الفرصة.

في البداية نظرت إلَيَّ بخجل، ثم أكملت طريقها. ظللت أنظر إليها إلى أن صعدَت للغرفة. صعدت ورائها راكضًا.. أوقفتُها ثم أخبرتها بأنِّي أود أن أحادثها قليلًا. فردّت علَيَّ بقلق و قالت لي:

_ يا أستاذ أيمن، لا يصح أبدًا أن اتكلم معك.
_ و لمَ؟

_ بسبب زوج أمي المشؤوم هذا.
_ حسنًا لا مشكلة، تعالِي إلى غرفتي، و سنتحدث قليلًا.

فترددت في إخراج الردِّ من فمها. فَهِمَ أيمن ما كانت ستقول من تعبيرات وجهها.

فرددتُ بلهجة طمئنتها:

_ لا تقلقي، سأُبقي الباب مُوَرَبًا.

فدخلا إلى الغرفة، و بدأ حديثهما..
بدأ أيمن حديثه بارتجالٍ و قال:

_ أودّ سؤالك سؤال يا لطف قبل أن أدخل في صرم الموضوع.

_ تفضل يا أستاذ أيمن..

_ لا تناديني بأستاذ أيمن، ناديني باسمي فقط. هل تصدقين الحبّ من أول نظرة؟

_ حسنًا يا أيمن.. سأكون مترددة في إجابة سؤال كهذا، فإنْ حَكَم الطرف المحب للطرف الآخر على ظاهره، فهذا لا يسمّى حُبًا، و لكن إن حكم على أسلوبها مثلًا و لم يكترث لمنظرها سواء كانت جميلة أو غير جميلة فهذا مُحِبّ حقيقي.

_ حسنًا يا لُطف، أحببت أن اقول لكِ بأنّي معجب بكِ..

ابتسمت ابتسامة خجل مع احمرار وجهها.. فأتبَعت..
_ إني أحبّك يا لطف.. ما الداعي للخجل الآن؟

فقرَّرَت التغلب على عواطفها و الردّ.
_ أنت يا أيمن، شخص ذكي و لطيف، و غيري الكثير يتمنّونك.

_ و لكنّي أريدُكِ أنتِ، لماذا تتهرّبين مني؟

_ لا أتهرّب و لكنّي أخمن نهاية، نسبة حدوثها كبيرة و قد لا تروق لَكَ.

_ هل يمكنك الإفصاح لي عن تخمينك هذا؟

_ زوج أمي، الأستاذ عاطف الجِبالي.. سيعترض طريقك حتمًا و لن يكون ذلك مناسبًا لَك، و أنا أيضًا لا أريدكَ أن تتأذى بسببي بأي شكل من الأشكال.

_ حسنًا لا تقلقي بخصوص هذا، سنحدد ميعاد لنلتقي به هنا. هذا أنسب مكان سأستطيع فيه أن افصح لكِ عمّا بداخلي.

اتفقا على ميعاد محدّد للالتقاء، فكّرت روان في البداية بتجاهله، و لكن عندما بدأت في الذهاب إليه مرارًا. بدأ الأمر يتّخذ مجرًا آخر، فلقد أحبته لشخصيته و طيبته معها، وحبّه الشديد لها، لدرجة أنّه في إحدى المرّات، صارحها أيمَن و قال:

_ سآتي إليكي و أطلبك من زوج أمّك هذا.

فكشّرت لطف وجهها بكل حزن و أسى، ثم ربّت على كتفها و قال:

_ مالِ القمر يُطفَأُ ضيّهُ و يجعل عالمي عتمًا؟..

فردّت عليه و ببؤس.

_ قد يحدث لَكَ ما قد لا يروق لي، فالأحسن أن ننهي علاقتنا عند هذا الحدّ لأنّي عايشت ذلك الرجل سنين و أعرف ماهيّته.

_ لا تقولي ذلك، فأنتِ حياتي و كما ذكرت سابقًا بأنّكِ القمر الذي أستمد منه النور ليدلّني في الليالي العتماء الحالِكة.

فابتسمت ابتسامة ظهرت كالشمس التي أنارت دُنيا أيمن.

في الجانب الآخر قد أتى عاطف الجِبالي إلى غرفته، بعد أن أَتمّ الصفقة المنشودة، و التي بسببها قد أتى لهذا الفندق، ارتاح على

سريره قليلًا ثم سمع صوتًا من خلفه!، أتى بكوب فوضعه على الحائط، فسمع صوت روان!، ألقى الكوب بغضب على الأرض ليتفتت إلى ملايين القطع. كان حينها باب غرفة أيمن مُوَارَبًا كما قد وعدها في أول لقاء لهما، تسلّط الجِبالي إلى حديثهما في البداية. انتظر حتى سمع صوت ضحكتها، ثم اقتحم الغرفة!، نظرا إليه باستعجاب شديد، عندما فتح أيمن فاهُ ليبرر الموقف لعاطف الجِبالي، انهال عليهِ بالضرب قبل أن يتفوّهَ بحرف، كان أيمن يفهم في الفنون القتالية، فرفع يداه لحماية وجهه من وحشية ذلك الهجومُ الفتّاك، لم يجد الجِبالي جدوى من ضربه في صدره و رأسه، فامسك ذراعه الأيسر بقوة و بدأ في شده بقوّة، حتى تمزّق كتف محمود و لم يستطع القيام من على الأرض بسبب الألم الرهيب. امسك الجِبالي بيدها بقوة و ادخلها الغرفة و اقفل بابها بقوة هزت أرجاء الممر. ثم دفع لطف على السرير، و لم بنتبه لما على الأرض من زجاج مكسور، فجُرَحَت قدماها و سالت الدماء في جميع النواحي. أي رجل في موقفه كان سيأخذها لأقرب مشفى للحقاء بها، و لكنّه لم يكترث!.

جلست لُطف تبكي بشدة إلى أن أوشكت مياه عيناها على الجفاف.

كان أيمن حينها ذهب إلى المشفى لتجبيس يده، قال له الطبيب بأن لا يحركها مدة 6 شهور إلى أن تُشفى تمامًا، فقد كانت قوة الضرب كبيرة و أدت إلى خلع المفاصل عن بعضها، لم يتبقّ إلا الجلد يمسك بذراعه.

أستغلت نوم عاطف الجِبالي و ذهبت إلى باب الغرفة زحفًا، و هي تتألم بشدة، لحقها أحد العاملين بالفندق عند مروره، ففقدت وعيها في الطريق، ويرجع ذلك للدماء الكثيرة التي قد فقدتها.

كان أيمن في غرفته ساخطًا غاضبًا على ما حدث له من اعتداء دون أي داعي حقيقي.

انتهت مدة حجزه في الفندق و التي كانت مدّتها اسبوع، عاد لمنزله فوجد الصنايعي منجِزًا لعمله على أتمم وجه، اعطاه حقّه من المال، ثم قبّله و شكر الله، ثم ذهب.

بعد ان ذهبت للمشفى و عولجت من قبل الأطباء، عادت من جديد بعكاز.. وجدها الجِبالي بحالتها هذه فثار عليها، و بدأ في ضربها..

استمر الحال على ما هو عليه حتى تمت 6 شهور. فيها تتعرض روان لأقصى التعذيب من قِبَل المختل زوج أمها، و أيمن يعيش حياته بطبيعية. ذهب إلى المشفى مرة أخرى ليتخلّص من ذلك الجِبس، عادت يده في قوة من جديد و فرح جدًا عندما استطاع تحريك كتفه مرّة اخرى، في تلك اللحظات تذكّر عاطف الجِبالي، ثم توعده بشدة. عند خروجه و بالصدفة، وجده ينزل من إحدى سياراته. خاف أيمن في البداية منه لتفوقه البدني و قوته، و لكنّه أصر على موقفه و قال في داخله،،

_ لا رجعة ولا مهابة من ذلك الرجل القذر..

ثم باغته من الوراء، وثب عليه وثبة أسقطته أرضًا، أصبح الجِبالي مرمى الرماية، فجعل ايمن يتعمد لكمه بيده اليسرى التي كان سببًا في تلفها. أنتهى العراك بحدوث كسر مضاعف للجِبالي. ارتاحت نفسية أيمن، كمن جاهد في حرب و كان النصر حليفه.

بقي حبّ لُطف في قلبه، ينبش في اعماقه كلما جائت على باله، كانت من أجمل نساء مِصر، بل الكون بأسره من وجهة نظره..

تلك كانت قصته مع لُطف

(٢)

عندما تركت صديقي أيمن يدخل للفندق، ذهبت أنا إلى منزلي، لأقضي يومي، كنت طيلة الوقت أفكّر بها، كانت مجرد لحظات، و لكنّها خطفت قلبي و لم يعد في مكانه، بل انطلق كعصفور ليذهب إليها، هي فقط!.

جلست على أريكتي التي انتفض منها الغبار ليأسها الشديد، فأنا أقطن وحيدًا في تلك الشُقّة المؤجرة.

أستيقِظُ صباحًا و أتناول فطوري السريع و أذهب إلى عملي، حينما ينتهي وقت ورديّتي.. أذهب لأقرب متجر، و ابتاع منه ما ينقصني، ثم آتي للمنزل مرة أخرى، أتناول غدائي، و التقط هاتفي لأتواصل مع (أصدقاء السوشيال) كما أحبّ أن أطلق عليهم، فهم يغنوني عن الدنيا، لحظة التواصل معهم تنسيني وحدتي، كنت أجد سعادتي الحقيقة في ذلك المستطيل المنير. كانوا يواسونني في أوقات حزني، و يكونوا لي سندًا قويّاً وقت انهزامي.

تركت هاتفي جانِبًا، ثم التحفت فِراشيَ الدافيء المريح.

••••••••

استيقظت صباحًا في نشاط، قبل الميعاد المحدد، احتسيت قهوتي و أنا أنظر إلى النافذة و أري منظر الشروق الخلّاب، ما هذا الجمال، سبحان الخالق في كل شيء خلقه، كانت تلك اللحظة هي الأفضل في يومي.

ذهبت لأغسل وجهي و أتهيأ للذهاب لعملي، انتهيت و أصبح كل شيء جاهِزًا. في طريقي صادفت سيارة ليست غريبة عَلَيّ و لوحتها أيضًا، أتذكر صاحب تلك السيارة، إنه عاطف الجِبالي! رجل الأعمال العربيد، أردت التخلص منه منذ فترة، فلقد طردني من عملي السابق أنا و اثنين من الأصدقاء، بحجة أنه يريد أن يوظف أيدي عاملة جديدة، في خطة منه أمام العامة لتقليل البطالة.

لن يُشفى غليلي إلا بعد خنقه بيدي و سحق رأسه، ذلك اللعين الأهوج.

أكملت مسيري حتى وصلت إلى الشركة، فوجدت سيارته أمام الشركة، فدعيت الله ألّا اقتله في ذلك اليوم، عندما دخلت وجدته على مكتب مديري، تجاهلته و ذهبت لمكان عملي.. مررت بمكتب المدير مرة أخرى، ووجدته ما زال جالِسًا، فأربكني الأمر قليلًا..

انتهى وقت عملي.. و عدت إلى المنزل، و لكن في طريقي صادفتها، دقّ قلبي و كأن لم أرى أحدًا في جمالها.. لم استطع حرمان نفسي من التقدم و التكلم معها.. إنها كجوهرة ثمينة، يتهافت اللصوص لسرقتها.. وجدتها تخرج من الفندق الذي يقطن فيه أيمن صديقي، وقفت للحظة أفكر في حيلة لأفاتحها في أي حديث..

أخرجت هاتفي و جعلته في الوضع الصامت، ثم تقدّمت إليها، و قلت لها بأنّي من مكان بعيد و أحتاج إلى مكالمة لمدة دقيقة، فقالت بصوتها العذب الرنّان..

_ بالطبع تفضّل..

وضَعَت يدها في حقيبتها و أخرجت الهاتف، عندما امسكته من يدها، تلاقت عَينانا، كنت حينها أذوب عِشقًا، كانت جسدي مرتعشًا، و قلبي يدقّ بقوة حتى كاد يدمر قفصي الصدري، تمالكت نفسي، و أخرجتُ مِنديلًا لأمسح عَرَقي..

ادّعيت أنّني أتصل بصديق لي، و لكنّ هاتفه مغلق، كان الاتصال لرقمي، و بذلك سأعرف رقمها و أسجله لَدَي..

أعطيتها الهاتف و أنا أشكرها و أنظر إلى الأرض، فتسائلت عن سبب تصرفاتي الغريبة و قالت..

_ لماذا تتصرف بتلك الغرابة؟

_ لاشيء.. فقد انتابني قليل من الحرج سيدتي.

_ لا عليك، الناس للناس.

_ بالطبع.. لأذهب أنا الآن.

عند التفاتي للخلف، و بِدْئِي بالحركة في عكس اتجاهها، نادتني ثم وضعت يدها على كتفي لإيقافي.. قالت لي في لطافة..

_ ذهبت سريعًا كالريح، لم اسألك عن اسمك يا سيد.

ترددت في الإجابة عن ذلك السؤال، فجاوبت بتلقائية.

_ إنّ اسمي ماهر يا سيدتي.

_ حسنًا يا ماهر، من الواضح أنّك شابٌ خَلوق، خذ.. هذا رقمي إن احتجت لشيء.

فشكرتُها و ذهبت..

••••••••

عندما ذهبت إلى منزلي.. أمسكت هاتفي و بدأت أبحث عن رقمها لَدَيَّ بسجل المكالمات.. أضفتها، ثم بَدَأتُ المحادثة بكلمة مرحبًا، انتظرت فترة طويلة حتى استَلَمَت رسالتي، ثم رأتها.. سعدت كثيرًا عندما رأيتها تكتب.. ردّت بتعجب و قالت:

_ من أنت؟ و ماذا تريد؟!

فكرت مليّا في ردٍ مناسب، ثم رددت عليها قائلًا في رسالة مطولة:

_ أنظري يا لُطف، أنا من ادّعى في صباح اليوم بأنّه يريد منك مكالمة، حينها اتصلت على رقمي لأستطيع الحصول على رقمك.. فعلت هذا لانّي منذ الوهلة الأولى التي رأيتك بها، أذهبتِ عقلي و كياني، لم تستطع نفسي أن تُحرَم من الحديث مع ملاك كهذا، لا تُسيئي فهمي، فأنا فقط شاب قاحط، وجد بئر في وسط الصحراء و أراد الارتواء منه.. ففضلًا لا تحرميني تلك الفرصة..

ثم ضغطت على زر الإرسال و انتظرت رؤيتها لتلك الرسالة..

غفوت قليلًا على سريري من إرهاقي..
فجائت اللحظة المنتظرة، سمعت صوت إشعارات هاتفي، ققزت فرحًا و انا متشوق من ردّ فعلها. ردّت عَلَيّ في رسالة طويلة بعض الشيء:

_ في بادئ الأمر، لقد تعجبت لأمرك، فأنا لا أعرفك ولا أنت تعرفني، و ما لا أجد تفسيرًا له هو معرفتك أسمي و حبّك لي، أي بنت في مكاني ستتوقع أنك استغلالي، ربما لجمالي او لثرائي.
أحببت أن أنوّهك لشيء ربما لم تلحظه.. أي علاقة تبدأ بكذبة، لا تنجح إطلاقًا، فكذبك عَلَيّ، جعلني غير واثقة بك..
أعتذر إن كان محتوى الرسالة قد عكّر ميزاجك، و لكنّي أقول حقائق ليس إلا.

في البادئ عند قرائتي للرسالة شعرت بندم، لتهوّري في التواصل معها، لكن عند إمعاني قليلًا، وجدت لها أعتذارًا و هذا يدل على طيبتها.. فرددت بكل صدق عليها قائلًا:

_ ربما قد أخطأتِ فِهمي، فأنا لست ممّن يغويهم المال أو الجمال، ما جذبني إليكِ فقط هو طيبتك و أسلوبك المهندم في التواصل مع الآخرين، و لكن جمالكِ هذا لم يكن في حُسباني.. و أحببت ان الفت نظركِ لشيء أيضًا، إذا كنت لم أعجب بكِ، لماذا قد اعترفتُ في رسالتي السابقة بخطأي، إنك إنسانة طيبة و رؤوفة، لقد أحببتك من أول نظرة، سحلتيني كالفقير الذي اشتد به القحط و الجوع و جعله يلجأ لنهب الأموال.

عندما رأت رسالتي، لم ترد بشيء، توقعك في البادئ هذا، فلم يكن غريبًا.

وجدتها ترد برسالة صوتية، سعِدتُ كثيرًا.. رفرف قلبي إلى سابع سماء.. وضعت سماعتي لكي أمعن في صوتها ذي الرِقّة و الجمال.. بدأت في السماع، قالت لي:

_ أُنظر يا أستاذ ماهر، لن أكذب عليك، و لكني قد أحببت اسلوبك و صدقك في حديثك، عندما أمعنت قليلًا، وجدت في أنه لا مانع في أن نصبح أصدقاء، سررت بمعرفتك.. أردّت ان انوّهك بمعلومة بسيطة، لا تتعلّق بي، اجعل علاقتنا تكون مقتصرة على الصداقة فقط..

فكتبت لها رسالة طالبًا منها بأن أدخل معها في مكالمة، فوافقَت...

جاءت بداية المكالمة منّي و قلت:
_ مرحبًا لُطف..

ردّت بصوت تملأه الرهبة..
_ مرحبًا يا ماهر.. كنت تريد أن تخبرني بشيء، تفضّل.

_ معذرةً، و لكن هل لي بأن اسألك؟ لماذا تظهر على طبقات صوتك الرهبة و الخوف من شيء؟

_ لا شيء.. لا شيء.

_ هل تقيمين وحدك بالفندق؟

_ لا، إن معي زوج أمّي..

_ حسنًا، لندعنا من هذا الأمر، ما كنت أريد قوله لكِ.. هو لماذا تريدين أن تقتصر علاقتنا على الصداقة فقط؟، أمِنْ أجل زوج أمك هذا؟!

_ نعم يا ماهر، هذا المشؤوم الخَرِف، هو السبب، لقد جعل حياتي ظُلمةً تسودها الظلمات.. إنه عاطف الجِبالي.

ظهرت على وجهي ملامح الصدمة، فلقد قيل هذا الاسم ليجعل من حُلُمي الجميل الذي توقعت له نهاية سعيدة كابوسًا، كابوسًا قد حلّ كالمصيبة، فويل له، و ألف لعنة عليه، كم أصبحت حزينًا.. سالت الدموع على وجِنَتَيّ كالشلالات..

إن رأيت عاطف هذا أمامي، فلن ينقذه أحد من يدَيّ، سأسفك دماءه، فبسبب ذلك الحقير الدنيء، أصبحت دنياي مريرة، عِشت في قحط.. مدة خمس سنوات، خمس سنوات، لا ألجأ إلى لمقلب القمامة، لألتقط منه غذائي..
جاء و فرض نفسه في الشركة التي كنت أعمل بها سابِقًا، و طرد أغلب العاملين بها، بحجة مشروعِهِ التافه هذا..

تألمت كثيرًا عند سماعي لاسمه، و خشيت ان تسمع لُطف صوت بكائي..

بقيَت تنادي و تنادي حتّى أقفلت الخطّ.. تلك اللحظة كانت أسوأ لحظة في حياتي.. أردت أن أنتقم من عاطف هذا و أن أحررها من شره..

كنت أود فعل ذلك بشدة و لكن ما باليد حيلة..

و تلك كانت قصتي مع لُطف

(٣)

ذهبت صباحًا إلى الجيم، كان الجو في أفضل حالاته، و الشمس مشرقة و تعطي ضوءاً خفيفًا يبعث على الأمل و النشاط.. نظرت إلى نفسي في المِرآة و وجدت جسدي قد اختلف عمّا سبق مما أسعدني كثيرًا.. ذهبت لقياس وزني و وجدت نفسي قد وصلت إلى الوزن المناسب الذي سأشارك فيه في تلك البطولة..

نسيت أن أُعرّفكم بنفسي، أنا مجاهد، شاب عشريني، تخرجت من كلية التجارة منذ عامَين.. عشقت رياضة الملاكمة منذ الصِغَر و كنت أتابع أهمّ أحداثها، و تابعت كل مباريات الملاكم الأسطورة (محمد علي كلاي).. كنت متخذَّه قدوة لي، و تعلمت جميع حِيَله القتالية..

كان أبي رجل أعمال، فلم يتردد للحظة في فتح صالة الچيم الخاصة بي الآن، بدأت منذ سنين قِلّة في ممارسة الملاكمة، عند افتتاح صالة الچيم هذه، كانت فقط لمجرد التمرين و للحصول على لياقة بدنية عالية، مع الوقت وضعت بها حلبة و بدأت أضع رهانات للذين يودّون قتالي..

كانت المبالغ عالية إلى حَدّ الجنون، فكانت الجُرأة تملأُ قلوب المتحدّين، و كنت بكل سهولة أربحها، أغلبها كانت تنتهي بالضربة القاضية في ثوانٍ..

إلى أن جائني الجِبالي، كان من الأصدقاء المقرّبين لدى أبي، فلقد كان يأتي ليمارس بعض التمارين بشكل يومي ثم يهمّ بالذهاب..

في يوم كان مزاجه جيدًا و أراد مبارزتي... كان جسده مليئاً بالعضلات و قويًا رغم سنّه، كُلٌّ منّا راهن الآخر على مبلغ طائِل، فلقد راهنني الجِبالي على ثلث ثروته!..

بدأ القِتال.. بدأت في تسديد اللكمات و بدأ يتفاداها برشاقة.
ثم سددت لكمة في ضلعه، آلمته و بدأ في الصياح، ثم سدد لي لكمة تماثلها و لكن قوتها اضعاف قوتي، وقعت على أرض الحلبة و أنا أتألم، فلم يحدث هذا لي أبدًا، أفقت بعدما وصل الحكم للثانية السادسة، ثم و بسرعة منّي أوهمته بأني سألكمه في صدره، أنزل يديه الاثنتين، ثم ضربته بيُمناي في وجهه بسرعة، حتى انّي لم أرى يَدَيّ!.

ثم وقع ارضًا من قوة اللكمة التي أثّرت فيه بشكل كبير..
كان قد فقد وعيه تمامًا.. وضع الحكم يده على رقبته ليتحسس نبضه فوجده ضعيفًا.. بإشارة من يده طلب من العاملين أن يطلبوا الإسعاف..

تشبثت في الحِبَال حد وقفت في مكاني.. جائت الإسعاف لنقل الجِبالي إلى المستشفى لتلقّي للّحاق به..

خرجت بصعوبة و أنا أتسنّد جدران المكان..
عند خروجي، قابلت في وجهي فتاة حَسْناء، لم أرى مثلها أبدًا.
كاد وجهها من كثرة جماله أن يُعمي يصري، أنجذب قلبي لها،
كيف؟ لا أعرف، و لكنّي أحببتها من مجرد رؤيتها لأول مرّة..
فسألت نفسي و قُلت.. "من ذا الذي ستكون تلك السيدة مِلكًا له،
سيكون أحظظ شخص عرفته البشرية"

حقًّا إنها كالملاك، أردْت ان أكلّمها، فالنظر الكثير إلى وجهها
أنساني ألمي و ارجع توازني من جديد بعد أن كنت أتسند تلك
الجدران الصمّاء. نظَرَت إليَّ بيعناها الزرقاوتين الشبيهتان باللؤلؤ،
و قالت لي:

_ هل تعرف يا أستاذ، أين هو عاطف الجِبالي؟

فتَعَثّرتُ في تلك اللحظة و لم أجد ما أقوله، فمن الواضح انّها ابنته و
إن قلت لها ما حدث ستنهار، و لا اريد تلويث تلك العيون الي
خطفت كياني.. بالدموع المالحة.

عندما وجدَتْني ساكناً في مكاني، كل ما أفعله هو النظر إليها،
تعجَّبَت للأمر و بدأت تسأل العُمّال.. فأجابها أحدهم قائلًا... "لقد
نقلوه إلى المستشفى بعدما لكمه السيد مجاهد بقوّة في وجهِه"

بغرابة.. وجدت ملامح السعادة ترتسم على وجهها! و كان هذا
المشهد، هو الأعظم في حياتي.. ثم جائت ناحِيَتي، وقالت و
الابتسامة لم تفارق وجهها..
_ إنّي ممتنةٌ لَكَ يا أستاذ مجاهِد، فلقد زرعتَ فيّ حياة جديدة يملؤها
الأمل و السعادة..

فردَدتُ عليها بلكنة المتعجب..
_ هل لي بأن أعرف سبب فرحتك لسماع هذا الخبر؟

ردّت بعد تَرَدُدٍ منها و قالت..
_ لِأَ... لِأَن..... إن الأمر يطول شرحه يا أستاذ مجاهد، سأحكي لكَ عندما نلتقي في إحدى المرّات بالتأكيد..

مددتُ يدي اليُمنى في جيبي و أخرجت الكارت الخاص بي.. مددت يدي لها و عقّبتُ قائِلًا.

_ تفضلي يا أستاذة، هذا الكارت الخاص بي، أنا مجاهد صاحب هذه الصالة الرياضية و رقمي موجود بالكارت إن أحتجتِني..

فأخذَتْهُ منّي و ودّعتني..
أوقفتُها و قُلتُ:

_ يا أستاذة.. لم أعرف ما اسمك..

التفتت و نظرت إلَيَّ نظرةً، جعلتني أغرق فيها و في جمالها.. ثم قاطعت حبل أفكاري قائِلَةً:

_ إن اسمي لُطف، و لقد تشرفت بمعرفة شخص مثلَكْ

عندما ذَهَبَتْ، عاد الألم مرّة أخرى، فلقد كان لقائها أفضل من المسكّنات، مجرد النظر إليها أنساني أَلَمي، لربما قد أُصِبتُ بنزيف داخلي!.. فقررت أستقلال عَرَبةَ أجرة، و الذهاب للمستشفى..

وصلت للمستشفى، و ذهبتُ لقسم الطوارئ.. بعد ساعات من الفحص و العديد من الأشِعّات، شُخِّصتُ ببعض الكسور في ضلوعي، و كان عَلَيّ أن ارتاح شهر.. كان الأمر صعبًا في بدايته، لأنّي منذ اللحظة الي افتتحت فيها صالة الألعاب خاصتي، لم اتركه يوم، كان الأمر كالجرح، إذا أصاب أحدًا، يظل يشكو من ألمه لبضع أيام، ثم سرعان ما يذهب الألم..

ظللت أفكر في الشخص المناسب الذي سيدير المكان في غيابي، و جاء في بالي كريم.. كريم، صديقي من الجامعة، فنحن خريجا كلية التربية الرياضية سويًّا.. و دائماً أثق به.

و أصبحت المهمة على عاتِق كريم...

جلست في منزلي اسبوع كامل، يوميًا كنت ابعث خادمي ليحضر الطعام.. وددت في إحدى الأيام، أن ازور عاطف في المستشفى، فذهبت إليه بنية الزيارة و الاطمئنان..

عندما دخلت غرفته، وجدته قد دُمِّرَ وجهه، كدمات و إصابات و تَوَرُّمات عديدة..

سالته عن حاله.. فلم يستطع الكلام بسبب شفتاه المغلظتان من قوة لكمتي.. قلت له في غرور..

_ لم أعلم بأن لكمتي قوية إلى ذلك الحد يا عاطِفْ.

هرتل قليلًا بكلام لم أفهمه، فهمت من تعبيرات يده بأنه يتوعدني.. ضحكت ساخِرًا على حاله ثم سرعان ما ذهبت إلى صالتي، لأتفقدها بعد غيابٍ..

عندما وصلت.. قام رجل الأمن باستقبالي استقبالًا حارًا.. ثم عند دخولي، وجدت كريم، يدرِّبُ إحدى الرجال، فناديته.. هرول إلي و احتضنني و قال:
_ طال الإشتياق إليك يا مجاهد.

رددت عليه بسؤال و قُلتُ:
_ ما أخبار الصالة و ماذا حدث بها في ذلك الاسبوع؟..
_ لم يحدث شيء جديد، كل شيءٍ كما هو، كما تراه.. فقد افتتحتُ قِسمًا للنساء..
_ جيد يا كريم، و لكن.. لمَ؟

فنظر إلَيَّ نظرة، لم أرها على وجهه من قبل.. ثم بدأ بالحديث قائلًا:

_ جائت منذ عِدّة أيام، إمرأةٌ عشرينية.. كانت كالقمر وسط النجوم.. إذًا جلست أشرح لكَ مشاعري في تلك اللحظة، فسأحتاج إلى العديد من المجلّدات.

_ هل سألتها عن اسمها او ما شابه؟!

_ بالطبع، إن اسمها لُطف، و علمت من إحدى العاملين، بأن عاطِف الجبالي، هو زوج أمها..

حينها تأكدت أنه متعلق بها و لن تكون من نصيبي.. في التلك اللحظة التي نظرت فيها اسفلي و تملأ وجهي نظران الخيبة و اليأس.. فكّرت بأن أحاول، و لو لمرة.. فلربما استطيع اغتنام تلك الفرصة..

شكرت كريم.. و هممت بالذهاب لمنزلي.. بعد أيام سأعاود مجيئي إلى ذلك المكان الذي لطالما احببته..

مرّت الأيام كبضع ثوانٍ.. ساورني شعور غريب حول لُطف، خِفت أن يسرقها منّي كريم!.. بعد ان انتابني القلق الشديد قررت ان أعود..

••••••••

اشرقت شمس يومٍ جديد.. ذهبت في الصباح قبل الجميع و قد افتتحت الصالة مبكرًا، بقيت بالداخل امرّن ذراعي ببعض التمارين البسيطة للاعتياد على التدريبات السابقة..

مرّت بضع ساعات و بدأ الرجال يهلّون، ثم تلتهم النساء.. بقيت منتظرًا و ذقت مُرّ الصبر، لأستشعر حلاوته عند قدومِها.. مرّ بعض الوقت و جاء كريم.. جلسنا نتكلم قليلًا..
حتى نضيع الوقت حتّى مجيئِها..

حدث ما لم يكن في حُسباني، أوشك الليل على الاقتراب و لم تأتِ!
قلقت عليها، فجاء في بالي أن أسأل كريم عن مواعيد قدومها..
ففضلت عدم السؤال، لأنه سيعرف بأنّي مهتمٌ بها..

بعد مَلَلِي الشديد، تركت الصالة و أنا في حالة يُرثى لها..
دلفت إلى سيَّارتي بعد أن تملَّكنيَ الأسى، اخذت نفَسًا عميقاً و تحرَّكت من المكان..

لست الأمثل، و لكنّي مدّعيها في الأغلب، لست الأقوى و لكن أسعى، و في الأخير يتملك منّي الكسل و تَبوء محاولتي في الأخير بالفشل.. لست الأذكى و الأدهى، لكنّي أدرس و اتطلع و أرى و أبحث.. لأكون ذلك الشخص الذي لطالما أردت أن اكونه..

في طريقي للمنزل، سمعت رنِينَ هاتفي، نظرت إليه و وجدتها المتصلة!، خفق قلبي و توقف الزمن لبرهة، لم احتمل ذلك الشعور، فهو الأفضل بلا منازع، كادت سيَّارتي أن تنقلب بي، رسيت بها في بجانب إحدى الأرصفة و التقطتُ بهاتفي لأرُدَّ عليها.. كانت طيلة المكالمة تحادثني عما إذا كان هناك إشتراك شَهرِيّ في الصالة.. و علمت منها أيضًا بأن اشتراكها كان مجرد تجربة و قد أعجبها التمرين بالصالة.. و عندما سألتها عن السبب، قالت لي بأنها بذلك ستحسِّن بنيتها..

اتفقنا على جميع التفاصيل و على مقابلة في الغد.. بعد أن اقفلَت المكالمة، انتفض جسدي من الفرحة، اهتزت السيَّارة حتى كادت أن تتكئ على جانبها!

أكملت مسيري إلى أن وصلت لمنزلي، كان هناك شيء غريب لم يحدث معي أبدًا من قبل، شعور لا استطيع وصفه، كأن جميع الفرحة الي يمتلكها الوجود، سكنتني و اتخذت من قلبي و جسدي مأوىً جيِّدًا.. كُنتُ منتظراً بشغف، كان ذلك الشعور، يجعل النوم يفرُّ هارباً مني، ثَقُلَت عقارب الساعة بطريقة غريبة، كان تمُرُّ عليّ الثانية كالدهر!

ذهبت للمطبخ و جَهَّزتُ بعض المقرمشات.. جهَّزت فيلمًا لممثلي المفضّل، لتضييع بعض الوقت، حتى وقت النَوم.

••••••••

سمِعتُ رنين المنبه، و انتفضت بسرعة من سَريري، و توجهت إلى المرحاض لأُهيأ حالي.. كل شيء أصبح جيدًا.. ذهبت للمكان المتَّفق عليه.. كان مطعمًا صغيرًا بالقرب من نهر النيل الخلَّاب الرائِع، طلبت فنجان قهوة، لأحتسيه حتى تأتي.. مرَّت الدقائق و انتهيت من فنجاني و لم تأتِ بعد!..

انتظرت قليلًا بعد، لعل حدث لها ظرفًا كان سبب التأخير، و لم تأتِ بعد!

اصابني التوتُّر و كُنتُ في حيرة من أمري، بالطبع إن اتصلت بها ستنعتني بالأهوج، و بالطبع لن تتواصل معي مجددًا.. فكَّرت مليّاً، حتى قررت كَسر ذلك الحاجز و الاتصال، فسأكون قد برَّأت ذمتي اطمأننت..

رَدَّ عَلَيَّ صوت رَجُل، لم يكن غريبًا عليّ هذا الصوت، جلست برهة افكِّر من هو.. حتى توصَّلت أنه عاطِف الجِبالي.. من قد تلقى ضربتي القاضية.. لقد عاد لينتقم!، فقُلت له بسخرية بأنّي مجاهد، لوهلة نسيت أن الإتصال كان لهاتف لُطف.. فرَدَّ عَلَيَّ قائلًا.. "مِن أين لكَ برقم لُطف؟!". ترددت في الكلام و تشنج لساني.. فقال بلهجة عنيفة.. "إن اقتربت منها مرَّة أخرى، فجَهِّز كَفَنَك!" ثم أقفل المكالمة...

ما زال أثر لطف فِيّ كالندبة، لا أعلم كيف أو لما انجذبت لها من أول لقاء!، لقد انغمرت في البكاء لأول مرَّة منذ سنين!.. لقد غيَّرتِ مجرى حياتي يا لُطف، بأثر سيزال بي طول العُمر..

و تلك كانت قصتي مع لُطف..

(٤)

نظرت لنفسي في المرآة فوجدت أن الأمل مازال موجودًا فيّ، مادامت تلك الابتسامة لم تفارق وجهي منذ الصِغَر فلا داعي للقلق على مستقبلي..

كان عملي مع صديقي مجاهد في صالتِه؛ فبعد أن و جدني عاطِلًا، لا أجد أي وظيفة تناسبني، قرر أن يجعلني أعمل معه في تلك الصالة، و بمرتب زهيد.. قبلتُ العمل معه في البادئ لأنه صديق طفولة و لأنّي أعشق كمال الأجسام..

في يوم كُنتُ أتمرَّن فجاء صديقي مجاهد ـ مغترًا بنفسه كالعادة ـ ثم تحدَّى عاطف الجِبالي، معروف عن الجِبالي هذا انه غَرور، لا يحب إلا نفسه، موهوم بأن المال هو كُلُّ شيء، مُغَيَّب عن عالمنا هذا بثرائه الفاحش، في نهاية كل شهر.. كان يخرج شيكًا، و يطلب من مجاهد ان يقول الرقم الذي يبغاه، و يضع بجانبه العديد من الأصفار، ظَنَّ الجبالي أن المال سيعطيه القوة، في البدن و المركز، قد اختار صالتنا هذه لأنَّها تعتبر من الأفضل في المنطقة.. بالطبع.. وافق الجِبالي أن ينازله، خلع قميصه وارتدى القفازات..

بدأ النزال وبدأت المعركة، بلكمات الجِبالي القوية نسبيًا.. تظاهَرَ له مجاهد بالخضوع وأنه على وشك أن يُهزَم، ثم و فجأة كلدغة الأفعى السَّامَّة، ناوَلَهُ مجاهد لكمة.. جعلته طريح الفراش مدة اسبوع! لم أتوقَّع أنَّ ساعدَه بتلك القوَّة الجنونية.. هرولت لطلب الإسعاف و ذهبت للاطمئنان على مجاهد، وجدته يتأوَّه بشدة! ناداني أحد العاملين و ذهبت إليه.. فعلتُ ما طُلِبَ منِّي و جئت أرى مجاهد و لكنه قد اختفى!، نظرتُ خارجًا.. و لكن لا أثر له!

بعد ساعة من ذلك الحدث المُبهِر، قد أُغلِقَت الصالة من قِبَل العاملين. ذهب الجميع و أنا كذلك إلى منزلي..

قضيتُ اليوم مع أهلي الذين تعجَّبوا لعودتي مُبَكِّرًا من الصالة. اضطررت لإحياء الموقف من جديد عن طريق سرده بأدق تفاصيله..

بعد أن شارفت الساعة على منتصف الليل، قررت الذهاب للاستلقاء، آلمني ظهري عند لمسه لذلك السرير الرائع. فكَّرتُ قليلًا قبل أن ابدأ تلك الرِحلة، كيف ستُدار الصالة في غياب مجاهد؟!..

طرح عقلي العديد من الإجابات. كأن يجعلني أُديرها مثلا لبضع أيام.. كم سيكون ذلك رائعًا و عظيمًا بالنسبة لي. أو ان يأتي بأحد جديد يديرها. أو يأتي هو و يبقى جالِسًا، يترقَّب المتدربين..
كثرة التفكير لم تصل بي إلى حل نهائيّ. لذلك فضَّلت أن اتناسى و أتركها على الله، و اغمضت جِفني، و ذهبت ضحية النوم.

•••••••••

في صباح اليوم التالي، اتصَّل بي مجاهِد ليخبرني بأن اتولى مهمة إدارة الصالة حتى عودته - بالطبع حزنت لأنه صديقي - لكنّي طِرتُ فرحًا لأني لطالما أردتُ أن أكون في ذلك المكان يومًا ما.

كعادتي.. هيأت جسدي ببعض التمارين الصباحية المعتادة.. كأن ألكم الكيس الكبير الذي لطالما اعتبره عدوي و في الكثير من الأحيان كنت أفرغ طاقتي السلبية فيه.. وحين أغضب، لا شيء يتلقى لكماتي القوية بقدرِه.

أخذت فترة لاستيعاب أن تلك الصالة أصبحت تحت إدارتي، تلك المملكة الصغيرة النفوذ.. يا الله..

حين وَهَج ضوء الشمس قليلًا، أتتني فتاة فائقة الجمال، إن شبهتها بالقمر فقد ظلمتها، كاملة الأوصاف، لم يلفت نظري شيء مثلها ابدًا، كأنها سحرتني!. شُلَّ جسدي و عجز عن الحراك، كدت أدمع!. منظري أصبح مضحكًا لأي شخصٍ يراني.. قُلتُ لنفسي "اللعنة، ما هذا الذي افعله. الاطفال نفسهم، لا تخرج تلك التصرفات منهم، يجب أن اتمالك نفسي قليلًا"

وقفت من مكاني و ذهبت للحمام لأغسل وجهي، لربما تلك كانت بعض أضغاث أحلامي، فإن كانت تلك الفتاة موجودة بالفعل، لاغتنمت الفرصة و جاهدت لتكون مِلكي، فوالله لن تغريني كنوز الأرض أجمع عنها..
بالطبع إنها من الحور العين.. بل أكيد!

حين انتهيت و جففت وجهي، خرجت لألقاها تنظر يمينًا و يسارًا تبحث عن أحدهم، واجهت خوفي و اتجهت نحوها بخُطًى تملؤها الخوف و الرهبة..
نظرت إلى الأسفل كالطفل الذي أتى لأمه بعد أن أخطأ، ويهاب ردَّة فعلها تجاه خطئه الذي لن يُغفَر إلا بصعوبة، أو بمقابل بعض الإهانة و التعنيف بحجَّة التربية.

بدأت الكلام برعشة في صوتي كالمعتاد.
_ تفضلي يا آنسة، عمَّن تبحثين؟

ردَّت بصوتها الذي اخترق مسمعي من حلاوته، فلقد فضَّلْتُهُ عن الكروان الذي أقوم على صوته صباحًا.
_ أبحث عن الأستاذ مجاهِد، إنه يعمل هنا و قد أعطاني كارتًا به رقمه، لكنِّي أحرجت أن اتصل لأني في تلك المواقف أتردد كثيرًا وأصبح مادة خام للسخرية.

قلت لنفسي "كيف لأحد أن ينظر إليك و لا يحبك من الأساس، سأبدأ كلامي الجاد معها الآن".
انتفض قلبي بشدة ممَّا منعني أن ابوح لها بِحبِّي.
قلت بعد أن انتهت من كلامها.
_ تفضَّلي في مكتبي قليلًا لاحتساء القهوة و البوح بما داخلِك.

ردَّت بلهجة غير مطمئنة كَرَهتُها.
_ نعم؟!

لحقت نفسي و رددت بكل تلقائية.
_ بالطبع انتِ آتية من طريق طويل، و الجو حار اليوم على غير المعتاد، فاستريحي قليلًا.

قلتُ في داخلي من جديد: "ستلوم الشمس نفسها إن لامَسَتها و تسببت في عدم رضاها"

جَلسَت على الكرسي، و ذهبت أنا لاحضِّرَ القهوة. سألتها عن نوعها المفضل، فردَّت عليّ بالشكر. إلحاحي الشديد جعلها تطلب قهوتها زيادة.. نظرت لنفشي للحظة في المِرآة، مَن أنا!. هل أنا كريم؟ أم مجرد شخص جُنَّ جنونه بسبب فتاة من أول لقاء، لا لا... لست على ما يرام. بالطبع هي مشعوذة.

رسمت قلبًا على سطح فنجانها و اعطيته لها و بجانبه كوب ماء. تركت الفنجان قليلًا حتى يبرد و بدأت حديثي.
_ إن الأستاذ مجاهِد، مُجهَدٌ من عراك أمس مع عاطف الجبالي، و اضطر أن يستريح بعض الشيء و جعلني أتولى منصبه في غيابه يا آنسة.

ردَّت و قالت..
_ يمكنك مناداتي بلطف.

يا له من اسم رائِع، بالفعل صدقت مقولة "اسم على مسمى"
بلعت ريقي و جففت عرقي البارد بالمناديل، وردَدتُ عليها.

_ عاشت الأسامي يا آنسة لُطف، هل لي بسؤالِك؟.. لماذا أنرتينا بوجودِك اليوم؟

ابتَسَمَت ابتسامة خفيفة كاد قلبي أن ينشطر بسببها. فرغم كوني قوي الشخصية و لا أعامِلُ البعض بطيبة، ظنُّوني عديم الإحساس!. ردَّت خِلسة.
_ إن القصة شِبه مطوَّلة، سأحاول اختصرها لكَ.

أخَذَتْ رشفة من فنجان القهوة.. نظرت لها و قُلت "ياليتني في مكان الفنجان. ابتسمتُ و مسحت عرقي البارد من جديد و قُلتُ لها "تفضَّلي"

_ شكرًا..
بالأمس، بعد عراك الأستاذ مجاهِد و عاطِف.. وجدتُ عاطِف قد تأخَّر، فذهبت لأرى ما قد حَلَّ به، لم أذهب من نفسي أو لقلقي

الشديد عليه، فهو إنسان لا يستحق، بل جئت لأكون في ناظِرِه قد اطمئننت عليه.. فأنا منذ صغري كُنت يتيمة الأب، و جائنا عاطِف هذا و تزوج أُمِّي، و لكن لم يعطِها أيَّاً من حقوقِها، بالطبع قد تركها تموت بالبطئ أمام ناظريه.. هذا ما سَبَّبَ كراهية بَيْني و بِيْنه لوقتنا هذا، و أضِف على ذلك بأنَّهُ لا يودُّ أيَّ إنسان أن يمسَّني، مهمًا كان منصبه، فهو يقول عليّ عُهدة و بعض من هذيانه الغير مفهوم..
بالطبع حين نُقِل للمستشفى و سَمِعتُ الخبر من الأستاذ مجاهِد..
كانت سعادتي لا توصف، لقد خرجت من سِجن بناه ذلك الحقير عاطِف..

ردَدتُ متسائِلًا..
_ و ما السبب لعدم تركك له؟

ردَّت مع ابتسامة أخرى هزَّت كياني..
_ لأن لا مأوى لي.

ردَدتُ بسؤالّ آخر عليها..
_ هل يمكنني اقتراح حل لتلك المشكلة؟

يبدو أنَّني قد وضعت نفسي في مأزِق، زالت الابتسامة من على وجهها، بدأت تنظر نظرات غير مطمئنة..

ما إن قالَت تفضَّل، اقترحت عليها بأني سأفتحُ قِسمًا لتدريب النساء هنا تحت إشرافِها، و سَتَبيت في الصالة إن أرادت، أو في أي مسكن بقرب الصالة من المال الذي ستأخذه من المشتركين.. نظرت لي بارتياح و تنهَّدَت في راحة.. ذرَفَت بعض الدموع مع ابتسامتها.. إنَّه مشهد رائِع بالفعل، فمجرد أن أجعلها باسِمة الثغر، هذا إنجاز..

نَظَرَت للأسفل في خجل.. ثم قفزت لتَحتضَنني.. متسمِرٌ في مكاني..
لا أعرف ما عليّ فِعلُه، ببطئ.. وضعت يدي على ظهرها وَ ضِعتُ..

جلست مرَّة أخرى على كرسيها تبكي بشدَّة، واسيتُها حتى عادت أفضل، ذهبَت لتغسل وجهها.. ثم حين انتهت، امسَكَت حقيبتها، ووَدَّعتني.. لُمتُ نفسي لأنِّي لم آخذ رقمها أو أي شيء يخصُّها.. لكن لحظة!

عاطِف الجبالي، صديق لديَّ على فيسبوك، و بالطبع سيكون صديقًا عِندَها، سأبحث عن لُطف و ستأتي في أول نتائِج لوجود عاطِف كصديق مشترك بيننا. وجدت صورتها تزيِّن ملفها الشخصي، ارسلت طلب صداقة ثم أغلقت هاتفي و أنا في قِمة السعادة، لا أصدق أنَّ كُلَّ هذا حدث!

•••••••••

أتى الصباح و أفقت على صوت منبِّهي، لكن كان جميلًا منذ بدايته، و لقد كانت قيلولة ممتازة.. فتحت النوافذ و سقيت الزهور، ثم جلست قليلًا على الأريكة و أنا اتأمل موقف أمس، و كيف أن تلك الحسناء الرائعة الجمال قد عانقتني، لم أرتح كذلك منذ أمد بعيد!.

امسكت بهاتفي لأنظر على الساعة، فوجدت مكالمتين فائتتين من رقم غير مسجل عندي.
من خلال برنامج التعرُّف على الأرقام، عرفت من مالِك ذلك الرقم. إنها لُطف!

اصابني الخجل و لذلك لم أقو على الإتصال، فتحت فيس بوك ووجدتها قد قبلت طلب الصداقة. إنه حتمًا أفضل أيام حياتي إن لم يكن كذلك..

تركت الهاتف للحظة ثم وجدتُ إتصالًا، إنها هي!

يالحظي السعيد، لقد كنت في حيرة. ماذا لو رددت عليها و قلتُ عن غير قصد شيئًا لم يعجبها، فتترُكَني!

إنّي استطيع، لن تحبطني مجرد مكالمة!
_ مرحبًا بكِ، آنسة لُطف.
_ مرحبًا يا أستاذ كريم..

و خرجت كلمة من فاهي لم أعلم سببها أو كيف خرجت.
_ لقد اشتقتُ لكِ كثيرًا.

لم ترد عليّ لبعض الثوان، بالطبع أخذت عنِّي صورة سيئة.. يا إلهي.. ماذا فعلت.

صلَّحت خطأي و تابعت..
_ أقصد انّي متشوقٌ للقائِك على نار، فقد لكي ابوح لكِ بتفاصيل أكثر عن ذلك الجزء الخاص بالنساء..

ردَّت بصوتها الملائكي
_ بالطبع بالطبع.. ألقاك بعد نصف ساعة في الصالة.

شكرتُها ثم اقفلتُ..

أخذت معي زجاجة مياه و زجاجة بها بعض العصير، اصبحت الحرارة مرتفعة اليوم.

اوشكتُ على الوصول، وضعت كفِّي فوق أعيني لكي لا تعيقني أشعة الشمس عن الرؤية.. ووجدتها!

كانت متزيّنة على عكسِ الأمس، لم تضع الكثير من المكياج - وهي لا تحتاج - لأن جمالها طبيعي، لن تُجمِّل وجهها بعض المستحضرات.

فتحت باب الصالة وأشرت لها بالدخول..
إنني في قمة السعادة.

بعد أن تكلَّمنا قليلًا حول التفاصيل، نظرت لعينها الزرقاء لأول مرَّة، لقد سجنت في عالم آخر، حاولت بشدة أن اسبر اغواره.

مختلفٌ عن عالمنا هذا، كل سكَّانه هم ملائِكة..
انطبقت حينها مقولة أحد الكُتَّاب و هي "أحببت عيوبِك، و إن انقلبت الباء نون، فأنا هنا أغرق"

كنت متلهِّفًا لتلك اللحظة التي سأعترف فيها و أصف ما بداخلي أمامها.

قالت و قاطعتني عن تأمُّل ذلك الجمال
_ أستاذ كريم.. إلامَ تنظر؟

فتأسفت و تحججت بتَشَتُّت أفكاري. حقًا انا أحمق.

سأعترف، سأبوح لها بكل مشاعري. ابتلعت ريقي و أخذت شهيقًا طويلًا من أنفي.. و قُلت "لُطف.. إنِّي أحبكِ، لا أعلم كيف ولا أعلم متى و لكن هذا الشعور يراودني منذ أن رأيتكِ للوهلة الأولى"

مازج وجهها الأبيض الجميل بعض الاحمرار بسبب الإحراج، ضَحِكَت بخجل و ادارَت وجهها.

ما إن حدث ذلك، جاء أحد المتدرِّبين، و رَحَّب بيّ بصوته الجهور الغليظ.. لعنته في سرِّي، و لكن شكرته بعدما كان سببًا في ابتسامة (لُطف) التي أعشقها.

صافحتُها و شكرتُها على وقتها الثمين.. حدَّدتُ ميعادًا لافتتاح ذلك القسم، و قد كان بعد يومين من التقائِنا.

••••••••

نُقِلَت المعدَّات و الآلات إلى القسم النسائي الجديد و و كانت لُطف في قمة السعادة، دائمًا عندما تنظر إليّ تقول "شكرًا".. قررت الصبر قليلًا قبل ان ادعوها لليلة عشاء أو ما شابه.

كُنتُ كلَّ يومٍ احادثها عن يومِها و نجلس في المكتب، نتحادث حتى الليل، حقَّاً كَم هو الحديث معها ممتع للغاية مهما كانت تفاهته. لم

اكُن اكترث للمواضيع فقط بل لصوتِها و نظراتها و هي تروي إحدى بطولاتها عندما أنقذت بيتها من ألهبة النار.. أو عندما قامت بطهي أشهى أنواع الطعام اللذيذة، و التي نالَت إعجاب الكل إثر تناولها.

حقًا حقًا لم أَمِلّ أبدًا من حديثها.. مرَّت ثلاث أيامٍ على هذا الحال، إلى أن رَنَّ هاتفها في يوم و هو يرتعد غيظًا و شؤمًا من المتصل.. كان عاطِف، نظرت إليّ و أرتني انَّهُ المتَّصِل.. أمرتُها بأن تعطيني الهاتف لأرُدَّ عليهِ أنا، مع تغيير صوتي بعض الشيء.. بدأت الكلام بصوت محشرج..
_ مرحبًا.. من المتَّصِل؟

ردَّ بصوت يملؤه التساؤل..
_ من انتَ؟.. اعطني لطف يا أيها الغول انت

ضحكتُ أنا و هي قليلًا.. تماسكتُ و ردَدْتُ.

_ هذا الهاتف قد سرقتُه منذ عِدَّة أيام و نسيت اتلاف الخط به..

ثم اتبَعت.. "سلاام" بصوتي المغلَّظ ذلك ثم أقفلتُ.

ازلتُ الشريحة منه، و اخبرتُها بأني سأجلب واحدة جديدة كي لا يستطيع الوصولَ لكِ..

لم تَمُر ساعة على ذلك، ثم هَبَّ علينا عاطف كريح تشوبها الأتربة و الأوساخ.. قال بعلو صوته "أما من أحدٍ هنا يودُّ منازلتي!!

لم يتعلَّم ذلك الرجل الخَرِف من عراك مجاهد معه.. لم يَردّ عليه أحد. لا مهابة منه بل لأنه لا يستحق من الأساس.

دخل عليّ المكتب و رَحَّب بي و جلس ثم وضع قدمه اليمنى على اليسرى و ارتخى قليلًا على الكُرسيّ.

سألته إن وَدَّ أن يشرب شيء.. قائِلًا في نفسي "بالسِمّ الهاري".

فأشار بسبابته و إبهامه تاركًا بعض المسافة بينهما و قال، بعض الشاي.

نسيتُ أن آخذ هاتف لُطف من على المكتَب، فرآه و تعجَّبَ قليلًا فأخذه. في تِلك اللحظة، ارتسم في عقلي، مشهد دخول لُطف للمكتب و الصَدمة هنا، بالطبع سينهال ذلك الحقير عليها بالضرب، و أتدخَّل انا و أقوم بدور البطل.. لم استطع الخروج من المطبخ كي لا يَشُكَّ فيّ و يسألني أسألة، لا حول لي لأعطيه إجابتها..

بالفِعل دخلت لُطف و أمسكها من شعرها و بدأ السَّب و النَهر، تدخَّلتُ و لأبعده عنها، ثم أوقعني بِرَكلِهِ لقدمي، و بدأت اللكمات تتلاحق بسرعة مِنهُ، و كانت يقول مع الضرب "يا خائِن". لم أفهم أين الخيانة في ذلك.. امسكت يده و شددتُها إلى أن وصلتُ لرأسه. لففته حول يدي و بدأت في اللكم في عدن سيطرة منه، هرول المتدرِّبون لكي يحلُّوا هذا الاحتدام إلى أن نجحوا.
بدأ السَّب منه بطريقة كلام غير مفهومة بسبب تخريبي لشفاهه من الضرب المُبرِح.

أروي لكم ذلك و أنا في قمة الأسى..

و تلك كانت قصَّتي مع لُطف..

مرحبًا.. انا سعدون، دجَّال تائِب.. اتعامل مع الجن في معظم أعمالي و الباقي اخبرهم بأشياء لا جدوى منها، يصدِّقوني و يعطوني مبالغ طائلة، كنت أخرج من اليوم حامِلًا في يدي مبلغ بجانبه خَمسُ أصفار!..

بدأ شغف ذلك العمل منذ صغري، فقد كان أبي يعمل خادِمًا لإحدى الدجَّالين الذين نالوا شُهرة واسِعة، كان الفنانون و الممثلون يأتون بنفسهم إليه ليحقق ما يتمنَّونه، حقًّا لم أصدق أن هناك أناس بذلك الحُمق إلى يومنا هذا. كان ذلك الدجَّال يطلب من أبي بعض الأشياء التي اجدها غريبة.. مثلًا أن يذهب إلى مقبرة فُلان و يرتِّل بعض الطلاسم ثم يرويها بماء مملح. كنت أضحك في بعض الأحيان و يُسكِتُني أبي بحجة أن أنيني من الضحك سيجعل التجربة تفشل..

يا صديقي تبًا لأحلام البسطاء..

بعد أن حدثت مشاكِل من ذلك الدجال تجاه أبي لطلبه أن يقتل أحد وزراء الدولة.. طرده و لم يعطه أي مال، ففضحه أبي و حُكِمَ على الدَجَّال بالسِجن المؤبد..

لأكون صادِقًا.. أحببت ذلك العمل، بسبب المبالغ الطائلة التي تأتي منه.. أستعنت بشكل رئيسي في أي شيء أقوم بِه، بكتاب شمس المعارف الكبرى الشهير.. سخَّرت العديد و العديد منهم، ثم في يوم.. جائني رجل أعمال مشهور.. كان اسمه "عاطف الجبالي".

قال لي بأن ابنته "لطف" تصرُّفاتها اصبحت غريبة تلك الأيام، تنظر نظرات غريبة و لا تطيق الجلوس معه.. و في بعض الأيام تبكي في غرفتها بدون أي داعي..

قُلتُ له بأن يحضرها لي لأجهِّزَ حِجاب قوي يحميها..
قال أنها بالفعل بالخارج.. و بنظرة منه لأحد الجاردات، ذهب لجلبها، كانت تقاومهم بشدة و لكن لا فائدة.. كانت كالنملة بين الأخشَبين..

بقرصة في عنقها قد اغمى عليها.. وضعتُ يدي على جبينها و كنت محظوظًا آنذاك، لأنها و بلا شَكّ ملكة جمال العالم، أو ملكة جمال قلبي..

قُلتُ له اتركها لي قليلًا حتى الغد.. لأباركها و أعلم تفاصيل أكثر عن حالتها و سأعالج الموقف..
وقف من على كُرسيه و أشار بإصبعه لإحدى الأخشَبَين و وشوشهُ في اذنه، قرأت حرطة شفاهه و هو يقول لذلك الغول بأن يبقى هنا حتى عودته كي لا يصيبها مكروه..
لم اكترث، فأنا استطيع خداع اي احد مهما كان حجمه او مركزه او ثرائه..

ذهبت إلى ذلك الفيل و طلبتُ منه شيئًا صعبًا بمقابل ماديّ، يساوي عشر أضعاف ما يعطيه له عاطف..
كان الطلب هو أن يذهب إلى أحد جبال البحر الأحمر و يصطاد أحد الذئاب، و يأتي به.. و تابعتُ له "مبلغٌ طائِل في انتظارِك".

وعدته بأن اعطيه المبلغ المطلوب إن وجدني.. كانت آخر أيامي في ذلك العمل المُقَزِّز و المُحرَّم.. ذهبت إلى لُطف و وجدتُها نائمة و شعرها الأصفر ينسدل على وجهها لا يظهِرُ أي شيء منه. جلبت بصلة و قطعتها، ثم وضعتها بالقرب من أنفها.. قامت فجأة و بدأت تسعل بِرِقَّة..

جعلتُها تجلس لكي نستطيع التحدُّث بوضوح.. فَرَكَت عيناها و قالت في خوف "أين أنا؟.. من أنت؟.. و ماذا تريد منِّي"
حقًّا أجواء تلك الغرفة التي كانت تجلس بها غريبة بعض الشيء هناك جمجمة يخرج منها قرنان و يغطِّيها دخان كثيف، و إضاءة الغرفة حمراء بعض الشيء.. و الأرعب من ذلك هي هيأتي، كنت أضع بعض الخطوط السمراء على وجهي و ملابسي التي كانت مهترئة و القِلادات العديدة التي كُنتُ أرتديها.. منها ما هو معلق بها جمجمة مصغَّرة و ناب ذئب إلخ...

طمأنتُها و قُلت "أنتِ في أمان هنا يا لُطف"
ردَّت بعد أن تنفست بعمق و ابتلعت ريقها.. "أخرجني من هنا، من أنت؟.. هل ستقدِّمني قربانًا لإحدى قبائل الجِنّ الذين تستعين بهم؟"

قهقهت قليلًا و بدأت تملأ نظرات القلق عيناها..
اطمئنت بشِدَّة بعد أن قُلتُ لها "سأنقذكِ من يد عاطِف هذا، فلقد استنتجت من حديثي معه بأنَّه غير لائِق التعامل معكِ.."

قالت في لهجة متردِّدة "و.. ولك.. ولكن.. أين ستأويني"

رددت عليها.. "إلى منزلي، و لا تقلقي.. لن اختلس بكِ، هناك خادمتان شابَّتان سَتُجالِيسِيهِما"

سألتني سؤالًا كان السبب الرئيسي لِتَركي ذلك العمل.. و هو "و لكن ماذا ستفعل أنت؟.. إن بقيتَ من المحتمل أن يقتلوك!"

بعد تفكير دام خمسة دقائِق وافقتُها الرأي، و من بعد ذلك تُبتُ إلى الله..
حقًّاً مهما وصفت عظمة التوبة فلن أُوَفِّيها حقَّها..

بالطَبعِ لقد جمعت آلاف مُؤَلَّفة من الأموال.. لم أعلم ما أفعل بها. فتركتُها بعيدًا و قرَّرتُ أن اتصرَّف فيها فيما بعد.

كانت لُطف تقضي وقتًا جميلًا مع العاملتان الطيِّبتان.. الدادة ياسمين، وابنتها دُرَّة.

آويتهما منذ بضعة سنين عندما كانتا يجلسان بالقرب من منزلي يبيعان المناديل.

كانت قد بدأت لُطف تتأقلم مع الوضع و أحبَّتهما بدرجة كبيرة..
كانت مجرد ابتسامتها تنير عَتمتي و تزيل ذلك الظلام الدانس الذي طغا منذ سنين.

استغللت في يومٍ عدم وجود ياسمين و ابنتها، فقررت الاعتراف..
حقا يالقساوة تلك اللحظة في بعض الأحيان، يقول الناس بأن المرأة إذا قبِلَت بِك في لحظة الاعتراف تلك، فذلك يوضح انها ليست جيدة و سُمعتُها سيئة.. و يقول شِقٌ آخر بأنَّها قد ارتاحت معك، و وجدت الأمان والحُبّ..
بالطبع تلك اللحظة لها ظروفها و أوقاتُها، و إن خالفت إحدى الشرطين، فمن الممكن بنسبة كبيرة أن تسمع ردّاً لا يرضيك و أيضًا من المحتمل أن يترك فيك ندبة تبقى في أعماقك طيلة الوقت، حتى بعد مرور عقود!

بالطبعِ لستُ خبيرًا في الحياة و لكنِّي أقرأ، و أنا اعتبر هذا أقوى سلاح قد تسلَّح بيه شخصٌ قَطّ..

كان باب الغُرفة موارَبًا و كانت لُطف جالسة أمام المرآة، و تُدَنَدِن في صوت خافت، و رائع كالبلبل.. كانت تمشِّطُ خصلات شعرها الذهبي و اكتشفتُ فيما بعض انُّه اللون الحقيقي و تلك ظاهرة شِبه نادرة في مِصر.
ما كان أيضًا يميِّزها هو قوامُها الممشوق و عيناها الزرقاوتان، للوهلة الاولى قد تظن أنَّها سائحة من فرنسا أو إحدى دول اوروبا..

بعض البشر كالنجوم، قد يراها الإنسان برَّاقة وَسَطَ الملايين من رفيقاتِها.. هذا ما نراه فقط، عِند الاقتراب قد نجد بعضها قد انطفأ وهجُه.

طَرَقتُ على الباب و التفتت إليّ و دَعتني للدخول.. راعيت أن اترُكَ مسافة بيني و بينِها، و بَدَأت هي الحديث بقولِها "تفضَّل يا أستاذ سعدون"..
لم أوَدّ أن أكون صريحًا في كلامي، فبدأت قولي "بالطبعِ أنتِ يا لُطف تدركين انّ هناكَ مرحلة مُهِمّة في حياة الإنسان و هي مرحلة الشباب، كُلٌ منَّا يبدأ في الإعجاب بشخص معين من شخصيته أو روحِهِ تجاه الآخرين، و آخر ما يفكِّر بهِ الشخص هو الناظِر، و

الشَكل.. بالطبع النسبة الساحقة تحكم من المظهر و لكن أنا ك"سعدون" أنظر للأمر من الناحية الأولى التي ذكرتُها..
حقًّاً لقد جَمَعني القَدَر معكِ في تلك اللحظة لأُبدي إعجابي الشديد بكِ"

يا ل"لُطف" المسكينة.. قد ذاقت ألم كُلِّ لحظة يأتي فيها شخصٌ للبوح بما في نفسه، بالطَبعِ لم يكن تَرك هؤلاء الأشخاص خطأها، ورغم ذلك هي تلوم نفسها.. فعندما يأتي شخصٌ جديد و يبدأ في الاعتراف فإن ذلك الجرح يُفتَح قرل أن يلتأم بالكامل.. قد يظهر ذلك تافِهًا للبعض و لكن هذا ما قد ترك فيها آثارًا نفسية و هذا ما يفسِّر بُكائها الشديد عندما أتى بِها عاطف لسعدون.. و سُبحانَ مُغيِّر الأحوال
سعدون الشرِّير الذي كان محبًّا للشَرَّ و كل ما يهمه هو المال، و مع كثرته قد أُعمِيَت بصيرته تمامًا.. في مرَّة قد عاوَن أحدهم لصُنعِ سُمّ.. و دَسِّه في إحدى فناجين القهوة لرجل أعمال عجوز قد قاربت نهايته، وأراد ابنه ان يورثه لأنَّ نصيبه ملايين..

قد بدأت هي تبوح لي بكل ذلك في آخر فترة مما سَبَّبَ لها مشاكِلَ نفسية و جسدية عديدة، و سبب ما حدث و منعها من أن تفعَل ذلك مُبهَمْ و غير واضح وضوحًا تامًا حتى الآن..

بالتدريج بدأتُ إزالة تلك الفِكرة عن دماغي، بالطَبعِ حزِنتُ بعض الشيء.. على حالِها و ليس لأنها لم تقبَلني..
كُنتُ اعامِلها بطبيعية، لنقل كأختي، كانت عندما تَمِل آخذها و نقضي بعض الوقت في إحدى الحدائق او المطاعم، بجانِب ياسمين و ابنتها اللذان اعتبرتُهُما عائلتي من بعد الظروف القاسية التي قد مررتُ بِها في صغري.. كُنتُ اصير في قمة السعادة حين أرى ذلك الثلاثي العظيم إلى جِواري في إحدى المطاعم او الكافيهات..

عندما بدأت تَشِحّ أموالي.. قررت أن استثمر في مبلغ بسيط منها.. على الإنترنت، يقول العديدون بأنه مُربِح.. بدأت بمبلغ رمزي و مع

الوقت اصبح لَدَي الملايين، التجارة على الإنترنت سهلة و تستطيع بيع أي شيء، كمقاطع الڤيديو مثلًا أو بعض الصور المصَوَّرة باحترافية كبيرة..

كُنتُ أفعل لذلك لأضمن حياة هانِئة لي و لعائِلتي الجديدة. حقًّا كَم السعادة التي فيّ، لا توصف.. أنِّي أسعد إنسان على ذلك الكوكب في تِلكَ اللحظة.. قررتُ ان نسافر لإحدى الدول لِكَي يُصعب العثور علينا و حتّى نكون في أمان.. وافقني ذلك الثلاثي العظيم جدًا - هكذا كما أسميتُهم - على رأيي.. بالطَبعِ لُطف كانت كالقمر وسط النجوم، تضوي في ليلتي لتنيرها.. و لكن قَد اكتشفتُ لاحِقًا بأن القمر يستمد نوره من الشَمس.. إذن فَمِن أين تستمِدّ "لُطف" ذلك النور المُضوي؟..

و لكن هيهات.. لا يسير يأتي بالساهل. طُرِقَ باب البيت ذات مرَّة، ظننت أنه البوَّاب او عامل الكهرباء او شيء من هذا القبيل.. نظرت من العين السحرية فوجدت الأخشبين! من أين جائا و كيف عرفا أنِّي اقطن هنا.. جعلت الدادة "ياسمين" ترد عليه..

بعد أن سألته عن هويته، طلب منها الدخول لطرح بعض الأسألة ثم الذهاب، جلس أحدهم بجانبها و بدأ يطرح الأسألة، و كان الآخر يبكث في كل ركن في المنزل، في دولابي و تحت سريري و تحت المكتب و الآثاث..

كان السؤال الأول هو "هل تعرفين شيئًا عن لُطف؟"
فابتسمت ابتسامة مصطنعة و قالت "لم أرى أحدًا اسمى ابنته بذلك الاسم من قبل"

اقترب الرجل الضخم من البلكونة و سمع صوت شيء يقع.. فسأل الدادة "هل هناك أحد بالداخل؟" فأنكرت، و قالت ربما يكون فقط تيار هواء..

بدأ السائِل في طرح سؤاله الثاني و هو "هل تعرفين (سعدون الدجَّال؟".

بالتأكيد ستنكر، و لكن يجب ان تبوح بمبرر كي لا يُفضَحَ..
فقالت "لم اتعامل مع أحد اولائِكَ الجهلة و الغشَّاشين، فكل همُّهم هو المال..

كنت أنا و لُطف نكاد أن نُكشَف.. و لكن حدث بالفعل ما كان في بالي، دخل ذلك الغول، و عندما نظر لي قال باستهزاء "لقد جلبتُ فرو الذئب يا أيها الحقير"
قال ذلك و سلاحه مصوَّبٌ ناحية رأسي..

خدَّرا لُطف أمامي و أخذاها..

بالطبع انا لم اتوقع مجيء هذان الثوران، و نَقُصَ فريق الثلاثي العظيم فردًا كنت اعتبره الأهَمّ.. كل ما أثار قلقي هو أذيتها، فكيف أن تلك المخلوقات العديمة الرحمة، تفعل هذا في بنت في مطلَعِ عُمرِها.. لم استطع النوم لاسبوع كامل، توقعت العديد من السيناريوهات المريرة التي قد تحدث لها، و لكن ما يغضبني هو عدم حيلتي.. لا اعرف مكانهم و حتى إن علمت به.. فلن استطيع مجابهة جيش عاطِف..

استسلمت لقدري، و غفوت محاولًا نسيان ما حدث.

و تلك كانت قصَّتي مع لُطف.

(٦)

في إحدى ليالي الشتاء البارِد.. كنت ارى المطر من خلف زجاج نافذتي، كانت أجواء رائعة فوق الوصف.. أعدَّت أمي لنا مشروب العدس، لأنَّه الأنسب في تلك اللحظات..
نفخت الهواء الساخن بين يدي و بدأت فركهما كي استطيع تحريك كفِّي الذي قد أوشك على التشنُّج!

في تلك الأيام في مصر و بالأخصّ في الريف.. الجميع يعشق ذلك الجو، رغم أنه يكون غير مروِّع للبعض.. لكن البعض الآخر يعتبرونها أجواء اوروبية، يرتدون المعاطف و الجواكت الكبيرة التي كادت لا تُظهِر شيئاً في وجههم. و الأطفال يعلنون عن بطولة الـchampions ligue خاصتهم في ترقب للفائز..

صباح يوم جديد.. استقيظت على صياح الديوك و الذي لا فرق بينه و بين صياح أصدقائي في الجامعة.. في بعض الأحيان يكون صياحهم مُطرِب للآذان.

بعد أن انتهى يومنا و بعد ان انتهت المحاضرات، جلستُ في الكافتيريا الخاصة بالجامعة إلى حين مجيء وقت الذهاب.. فتحت متصفح GOOGLE لأقرأ إحدى الكتب و أغتنم تلك الدقائق في شيء يفيدني.. قابلتُ خبرًا مجازه أن إحدى رجال الأعمال و يدعى عاطِف الجبالي. قد أعلن عن أعلن عن منحة إلى ألمانيا. فكَّرتُ قليلًا مع نفسي و قُلتُ "لِما لا؟"

حسنًا.. بعد أن انتهى الوقت و هممت بالرحيل. عرضتُ الأمر على إحدى صديقاتي، فوافقت أن تشاركني. في الطريق قد نزلت صديقتي (ماجدة) قبلي، و أشرت لها بتحية الوداع. رغم طيبتها إلى

أني لم أفكر يومًا بالارتباط بها. أو بالارتباط اصلًا. و لكن فيما بعد ستتغير هذه الفكرة.

عرضت الامر على أهلي ووافقوني و لكن بشرط أن أعتني بنفسي.

لم استطع النوم لحماسي الزائِد عن اللزوم.. في الآخير قد غفوت ساعتين.. ارتديت أفضل قميص لديّ و ارتديت ساعة في يسراي، قد تبدو باهظة الثمن و هذا ما كنت أقصد إبرازه، بالطبع كانت لا تعمل و لكِنَّها تحسِّن منظري.
وضعت عطر تشبه رائحته البخور.. ثم انطلقت إلى منزل ماجدة، هناك وجدتُها قد ارتدت اللون الأسود مِثلي، بمزاح قُلتُ لها "لابسة الحتة الي على الحبل" فسادت حالة ضحك لبعض الوقت ثم طلبنا UPER و ذهبنا..
كان من المتوقع أن يكون مكتب و لكنَّه كان قصرًا.. دخلنا و كانت ممسكة بيدي فتعجَّبتُ لأنها قصيرة، كيف طالت ساعدي؟.. فنظرتُ للأسفل ووجدتُّها مرتدية الكعب.. فابتَسَمتُ قليلًا و أكملنا في المُضِيّ.

طالبنا الأمن بوضع كل المعادن في سلة ثم المرور على بوابة من تلك التي تصفِّر.
استقبلتنا.. إمرأة لطيفة و بارعة الجمال.. عندما تحركت ملامح وجهها و هي تسألنا عن اسامينا، لقد سَرَحتُ في منظرها. كان الموقف محرج للغاية فلقد غُيِّبتُ عن الذي حولي، لدرجة جعلت ماجدة تلوح بيدها أمام وجهي. في سرعة منها لكمتني في ظهري، و ابتَسَمتْ للمرأة و بَدَأت تعتَذر.

قالت المرأة "تفضَّلا"
ثم ذهبت أمامنا و تبعناها، كانت ماجدة تهمس لي و تسألني عن سبب ما حدث.
قلت لها "تذكَّرتُ فقط إحدى المواقف"
فردَّت بشجن "و هل لموقف بسيط أتى في في بالك لبُرهة، أن

يجعلك كالمتعاطي؟"
رددت بنفس طريقتها "سأشرح لكِ ما حدث بعد انتهائِنا"

ذعرتُ كي لا يحدث موقف مشابه.. جلست على مكتب و جلستُ انا و ماجدة على الكرسيين المقابلين، ننظُر لبعض نظرات تُلَخِّص مواضيع طويلة..

قالت المرأة "أستاذ حسين"

فالتفتُّ لها و قلت "تفضَّلي"
اجتنبت النظر إلى وجهها و خاصة عينها الزرقاء التي تشبه لون السماء العليل..
سألتني "كم عُمرُك؟ و لمَ تودُّ السفر إلى ألمانيا؟"

رددت بعد النظر إلى ماجدة و فهمت أنه يجب ان انظر إلى المرأة و أنا أتحدَّث فجاوَبتُ "عمري 19، أوَدُّ السفر إلى ألمانيا لأنِّي أظنُّها فرصة جيدة لبدأ إحدى أحلامي التي قد خططتُ لها منذ صغري، فستكون أيضًا فرصة للتعرف و الاضطلاع على حضارات الشعوب الأخرى، و بالطبع سأضع جذورًا لمستقبلي".

ثم التَفَتَتَ إلى ماجدة و ظللت ناظِرًا إليّها، يا لغباء منظري آنذاك، نظرت ماجدة إليّ خِلسة، ثم قرصتني بقوة في فخذي..
حينها أزَلتُ عيناي و بدأت اتصفُّح هاتفي قليلًا حتى تنتهي الأسألة الموجَّهة لها..
شكَرَتها و اتفقنا على ميعاد لتحديد الإجرائات، ابتسمت لنا تلك المرأة التي لم اعرف و كانت ضي وجهها أشد وهجًا من القمر..
مشيت بجانب ماجدة حتى خرجنا.. كانت تهمس لي و تقول "حِسابك معايا عسير"

ذهبنا إلى كافيه لنجلس به قليلًا.. و بدأ الحديث المُرعِب بيننا..
بدأت ماجدة حديثها بغيظ قائلة "يا لك من أحمق لا تعرف شيء عن الهِندام، بالطبع نظراتك للُطف قد جعلتها تستاء منَّا"

رددت لكي أبَرِّرَ موقفي "و لَكِن يا ماجدة، لم أفعل ذلك عمدُا، إنها رائعة فوق الوَصف، انتِ تعرفين قلبَ الرِجال حين يَحِنُّ لأحدهِنَّ" تنهَّدَت قليلًا ثم قالَت "لقد عرِفتُ أشيائًا قد تساعِدكُ في الوصول إليّها، و لكنّي أحذِّرك.. لا تتعدَّى حدودك!"

يالها هذا الجِنس.. إنَّ الأنثياتِ عمومًا، يمتلِكن صفات لا يستطيع أحدنا الوصول إليّها.. فمِن اول لِقاء استطاعت "ماجدة" أن تَصِل إلى اسمها و إلى جميع المعلومات التي تخصُّها، رقمها و ملفها الشخصي على مواقع التواصل..
الآن أنفي المقولة الشائِعة لدى بعض المختلِّين عقليًا "السِتَّات مكانها المطبخ!".
مكانتها الحقيقية أعلى من ذلك بمراحل.. ومِن واجب مجتمعنا تقديرها، و ليس تحقيرِها!..

طلبت من ماجدة إعطائِي ملفَّها الشخصي على فيسبوك..
بحثتُ عن الأسم.. ووجدتُها، كانت صورة ملفها مُلفِتة و رائِعة..
كانت هي و أمواج البحر العاتية و بالطبع ابتسامتها تزيِّن الصورة أكثر من أي شيء..

تصفَّحتُ قليلًا حتى وجدتُ لها صورة مع عاطِف الجِبالي صاحب المنحة.. موضوع فوقَها قلبان. من الواضح أنَّه اباها.
و لكن وجدتُ شيئًا غريبًا، في جميع صورِها مع عاطِف، لا تبتسم ابتسامة حقيقية تنبع من اعماقِها، و موضِع عيناها كان غريبًا و كأنَّها تطلب المساعدة من أحدهم و لكن لا منصِتين. فقوة الجِبالي لا تُضهى..

بعثتُ لها طلبًا، و انتظرتُ قبولها..

لم تكترث له لمدة من الوقت، حتى تواصلتُ مع ماجدة لكي تكلِّمها قليلًا و تقول لها ما بيّ، بسبب خجلي الذي لم أتمكَّن أن اتغلَّب عليه حتى اللحظة!

بعثت ماجدة لي رسالة و هي تقول "ضن".. ما معناه بالإنجليزية "Done"

و جدتُ لُطف قد قبلت طلب الصداقة.. كسَرتُ حاجِزَ الخوف و بدأت بالكلام و قُلتُ "أهلًا"

لم ترى رسالتي قَطّ، قد يكون عِندنا بعض المشاكل أو ما شابَه،
بعثت لي ماجدة في رسالة تقول "خربانة ياعم"
ضحكتُ قليلًا ثم بعثت لها screen shot، بالرسالة المبعوثة..

ردَّت ماجدة "انتظر قليلًا بعد"...

بعد انتظاري طويلًا بلا أي استجابة.. بعثتُ لها رسالة كان مضمونُها بمُزاح "ألن تتواضعي و تتبجَّلي و تردِّي على رسالتي؟!"

تركتُ الهاتِف بعد عِدَّة محاولات بائسة بلا جدوى..

•••••••••

بعد ساعات عِدَّة، قد سمِعت صوت إشعار برسالة، انبعث الأمل فيّ من جديد.. كانت تعتذر في رسالتها عن الرَدِّ متأخِّرة، معقِّبة بعد ذلك، بانشغالها في استقبال الزُوَّار ممَّن يلتحقون بتِلكَ المِنحة الدراسية..

بعد عِدَّة رسائل قد تعرَّفنا فيها على بعضِنا.. ارسلت رسالة مجازها.. أنَّ صاحب المِنحة، رجل الأعمال "عاطِف الجبالي".. يكون زوج أمها المتوفاة. لم يشغلني ذلك بتاتًا.. بالطبع قد ظنَّتني من هؤلاء الذين ينظرون إلى المناصب و المال!

و لأنّي لم أخُض تلك التجربة من قبل. لم استطع أن افاتحها في حديث و ان افرغ جميع ما بداخلي في رسالة مضمونها انّي مُعجَبٌ.. لستُ الوحيد في هذا العالم من هذه النوعية.. الكثيرون منَّا نحن الرِجال، يعانون من تِلك الاضطرابات عند محاولتهم أن يبدأوا

علاقة مع أي شخص - خصوصًا المرأة - فتساوره اعتقادات بالفشل و أن ذلك الشخص لن يتقبّله بسبب اسلوبه او مظهره.. و يبدأ الوهم في الاستيلاء على عقله و الاستيطان فيه..

اضطررت أن الجأ للخطة (ب)، و هي أن أُخبر ماجدة بما حدث و هي ستحِلّ الأمر.. ااه حقًا أنا أحمق للجوئي لذلك الحَلّ، لم تكن ماجدة قد رأت رسالتي فأزلتُها و أردت أن اواجهها بكل جُرأة و لو لمرة.. إن قبلت سأعتبر ذلك أهم انتصار في حياتي، و إن لم تقبل فسأعتبره انتصار ايضًا لأني لم أعد أخشى شيئًا.. الآن أنا ارمي قنبلة، فإن صابت، سنربح المعركة، و إن خابت فسنرعب العدو و نستغل الفرصة لنتوغَّل و نحاصره.

حسنًا.. الخطَّة كالآتي، سأجلس في المول الذي يقابل القصر، و أنتظر خروجها و سأبدأ الحديث معها..

رأيتها خارجة وها قد جائت فرصة تقَدُّمي و لكن خشيت.. من الممكن أن تصرخ و اسجن في قضية تحرُّش، هززت رأسي لتتناثر تلك الأفكار جانبًا. هي تعرفني، فما الدَّاعي لكل تلك التهيئات.. حَسَنًا.. أخذت نَفَسًا عميقًا و تقدَّمتُ.

رأتني اقترب منها، فظهرت عليها ملامح الدهشة قليلًا.. قالت بتهدُّج "مرحبًا يا حسين. كيف حالك؟"

رددت بعد ان مرَّرت يدي على جبيني الذي قد طغا الغرق عليه "بخير و الحمدلله يا آنسة لُطف.. أردت فقط دعوتِك في سهرة عشاء في إحدى المطاعم"

ظهرت عليها بعض ملامِح الخوف و لكن اخفتها بابتسامة جميلة منها..

تابعْتُ سريعًا "و ستحضر ماجدة معنا"

ابتسمت و قالت "حسنًا.. سأتواصل معها لأضطلع التفاصيل"

شكرتُها على وقتها ثم تصافحنا و ذهب كُلٌ مِنَّا في طريق.

سارعت للإتصال بماجدة لإخبارها بما حدث..
لم ترد في أول اتصال. يارباه.. هذا ليس وقت التكبُّر..
كانت متصلة، فبعثت لها رسالة تحتوي على ما دار بيني و بين لُطف..

في الأخير وجدتُها نشطة و لم اعتقها، فصرت اغرقها بِوابِلٍ من الرسائِل و المكالمات، إلى أن ردَّت!

تشاجرنا في البادئ، و لكن استطعتُ تدارك الموقف و البوح لها...

استقبَلَت الخبر بكل سرور و سعادة، ثم تابَعَتْ: "أتمنى أن يكون ذلك اللقاء، نقطة فاصلة في العلاقة و أن تنال مرادك"

رتَّبتُ اولويَّاتي لذلك اليوم، ثم ذهبت لاتقاط ذلك الصندوق الثمين و الذي يحتوي على "تحويشة العُمر"
افرغت ما به على سريري كي أحسب كمية المال.
اغلب ما يحتويه هذا الصندوق، هي العملات المعدنية، سيكلفني هذا بعض الوقت..

بعد ربع من الساعة، عددت ألف جنيه، ولكن قبل أن أُتِمّ العَدّ، أخطأت عند العدد 998 و عددته 999، اضطررت للعَدِّ من جديد!

حسنًا، في هذه المرَّة سأفصل كل 100 جنيه عن الأخرى.. تلك أول مئة!.. سأضعها في كيس..

هذه المرَّة كلَّفني العَدّ وقتًا أطول، ولكن قد نظمت المال.. حسنًا سأمُرّ بكل كيس على مَحَلّ مختلف لكي أحوِّلهم للورق..

بدأت الشمس في الغروب ساحبةً ورائها خيوطها الذهبية الرائعة..
كنت قد اوشكت على الانتهاء.. انتهيت بعد تكبُّدٍ للعناء..

انطلقتُ بالمال إلى إحدى المولات، ابتعتُ قميصًا أسودًا يشبه تلك الليلة، وبنطالًا و حذاء.

رتَّبتُ حوار مهندمًا.. كي اظهر أنيقًا، و لطيفًا..
جهزت أيضًا بعض المال لتلك السهرة..

اتصلت على ماجدة كي نهم بالذهاب، حسنًا سأمر عليها في العاشرة و نذهب إلى المكان المتفق عليه..

وصلنا إلى المطعم و استقبلنا العامل منحنيًا و مشيرًا بيده إلى الداخل، جلسنا على طاولة بقرب نافورة رائعة هناك..

بقينا منتظرين ما يقرب من نصف الساعة!.
أخبرت ماجدة انا تهاتفها.. و لكن ردَّت عَلَيّ بأنها لا تُجيب بتاتًا!.

غلى الدم في عروقي آنذاك.. فلقد كلَّفتُ نفسي مالًا لا فائدة منه!

جاء النادل ليأخذ طلباتنا.. فطلبتُ فنجانَيّ قهوة..

عندما ذهب النادل، اتصلتُ بِها مرة أخرى.. علَّى و عسى أن تَرُدّ..
قذفتُ هاتفي بعد أن قيل لي، بأن هاتفها خارج نطاق الخدمة..

لم أكترث إن كان قد تحطم.. فلم أكن واعيًا حينها..

بعدما انتهينا.. من احتساء القهوة.. طلبت الشيك لدفع الثمن.. سألني الرجل "ألن تأكل يا سيدي؟"
ابتسمتُ في وجهه ابتسامة تصنَّعتُها، لِأُداري خيبتي أمام الجميع..
وقلتُ "مرة أخرى إن شاء الله"

فتحت هاتفي بغرض بعث رسالة لها، و لكنَّها قد حظرتني!
طالبتُ ماجدة أن ترى ما إن حظرتها هي الأُخرى، و بالفعل صدقت توقُّعاتي..

لم أدرِ ما السبب؟، لم أستعِب، لمَ قد تفعل لُطف هذا؟

و تلكَ كانت قصتي مع لُطف..

(الخاتمة)

مرحبًا بكَ عزيزي القارئ، أنا حازم الكيلاني، طبيب نفسي لدى إحدى المستشفيات الكبيرة، لكني منذ فترة قد تكاسلت أن أذهب إليها.. و كرَّستُ أغلب وقتي لقضائه في عيادتي.. لاستقبال المرضى و لكي أكتب ما يأتي ببالي، في أجواء مريحة و عظيمة.. مستلقيًّا على البلاج، واضعًا السماعة و أسمع بعض أغاني السِتّ (أم كلثوم)..

في الأغلب، الحالات التي تأتيني.. يكون حلها و تشخيصها سهلًا، يأتيني البعض ممن قد آلمنهم جروح الفُراق، ة البعض يأتي مكتئبًا و على وشك أن يودي بحياته!

في إحدى الأيام، كنت جالسًا بجانب النافذة و أنظر إلى صفاء السماء، و تغريد الطيور، و صوت الكراوان يشُقُّ مسمعي ليطرب آذاني..

وجدت رجلين يحملان إمرأة فاقدة للوعي، هرولت إلى الأسفل و ساعدتهما في الصعود.. وضعناها على سرير المرضى و انتظرناها حتى تفيق، سألت الرجلين عن حالتها.. فقال أحدهم "إنها غير طبيعية، تُصدِرُ بعض الأصوات المريبة و تتكلم بلغات أخرى! حتى أنها في كل فترة تبكي بكاءً هستيري و تتبعه باسم إحدى الرجال!"

طلبت منهما أن يستريحا حتى تفيق ثم يذهبا كي أستطيع تشخيص الحالة ثم ابادر بحلِّها.. في خضم حديثي عن التفاصيل مع الرجلان، سمعتها تَسعُل، قُمت من مجلسي سريعًا و عدلتها لتكون في وضع الجلوس.. ثم بإشارة لم تلحظها، طالبت الرجلين بالرحيل الآن.

سألتها إن ودَّت شرب شيء فاجابتني بالرفض و الشكر، جهزت لها كرسي مريح.. و طالبتها بالجلوس عليه.. جلست و أراحت ظهرها للخلف ثم أخذت نفسًا عميقًا، طالبتها بفعل استراتيجية 4 - 2 - 4 الشهيرة، يقول الدكتور إبراهيم الفقي في كتابة "قوة الثقة بالنفس" أن استراتيجية 4 -2 - 4، هي الأمثل لمنح الجسد الاسترخاء الكافي و زيادة الثقة، و الإستراتيجية كالآتي، ستأخذ نفسًا عميقًا لمدة 4 ثوان، ثم تحبسه لمدة ثانيتين، ثم تطلقه في 4 ثوانٍ أخرى.

أخرجت النفس الأخير ثم قلتُ لها "أنظري.. لا تعتبريني طبيبًا، اعتبريني صديقًا لكِ، بوحي لي بكل ما تريدينه، حتى و إن قلتِ سِرًّا، و ثقي فيّ و بإذن الله لن أخذلَكِ"

قالت و علامات الخوف لم تزل عنها بعد "أخاف أن اثق بكَ زيادة عن اللزوم فيحدث ما تنتهي به كل قصة"

ثم أجهشت بالبكاء.. أخرجت بعض المناديل و ناولتها إياها.. مازالت تبكي!.. قلتُ و أنا متأثرٌ بعض الشيء "أذهبي إلى الحمَّام و أغسلي وجهك ببعض المياه الفاترة"

لم تتوانَ لحظة و قامت..

جلستُ أُفكِّر في ما سأقوله لها و الأسألة التي ستجعلني أصل لمبتغاي، أتت لي ثم جلست أمامي... كانت تلك، هي المرة الأولى التي أرى فيها ملامحها بوضوح، لعنت في نفسي من كان سبب إخماد ضي تلك الشمس.

كان وجهها مصغرًا و شفتاها مائلة إلى اللون الرمادي، و عيناها كادت أن تقفز من وجهها.. و هي تتنفس برهبة شديدة و تنظر حولها، طالبتها يالهدوء لثاني مرَّة.. ثم ملأت كوبَ ماء، و أذبت فيه حبة مهدئ.. أخيرًا قد سيطرت على الوضع..
طلبت منها البوح بكل شيء و كلِّي آذان منصتة.

استأذنتُها ثانية فقط، فقمت بالإتصال بإحدى المطاعِم الدجاج، ثم سألتُها بمزاح "تريدين منابَكِ spicy ولا عادي؟"

فابتَسَمَت ابتسامة لطيفة، و قالت "عادي"

انتهت المكالمة.. ربع الساعة و يأتي الطلب..
من هنا بدأت تستفيض بكل ما لديها..

"كنت فردًا من عائلة صغيرة، أبي كان يعمل فرَّاشًا لدى الشركات، و أمي كان عملهافي إحدى المطاعم القريبة مننا، كانوا يتركوني عند خالتي حتى تنتهي أمي، ثم تأتي و نذهب للمنزل..
في إحدى الأيام.. أتى أبي من عمله، ثم جلس معنا قليلًا و جعلنا نتحدث عن يومنا و كُنَّا مُستأنسين به و كانت جلسة لطيفة، ذهب إلى الغرفة ليرتاح قليلًا و لكن كان واضعًا يده على صدره.. كأنه يشعُر بألم!
أتى لنا إحدى أصدقائه بعد مدة، فدخلنا الغرفة لنيقظه.. و لكن وافته

المنية في تلك اللحظة، لم أحزن آنذاك لأنِّي كنتُ متأكدة أنه شهيد.
مرَّت عدة شهور على ذلك الحدث، حتى بدأت أمس تتناسى الأمر.
رآها إحدى رجال الأعمال في المطعم، فأعجب بها، أو ما كنت أظنه كذلك.. كل ما أراده هو إشباع شهوته. لم تعجب أمي به و لكن رضخت و تجوزته.. لا طمعًا في أمواله، ولكن لنستطيع العَيش في حياة هانئة.
لم تمر سنتان ثم بدأ ذلك الأحمق يعاملها كما لو يعامل إحدى العبيد..
و ما كان باليد حيلة، فإذا لم ننفذ مطالبه، سوف نموت جوعًا..
مرضت أمي مرضًا شديدًا.. فلم يأبه لها ذلك الرجل.. اهملها حتى ماتت! منذ تلك اللحظة، و أنا في حياةٍ غير الحياة..

لم أكن في وعيي، بدأت أتصرف بغرابةٍ شديدة، حاولت أن انتحر عشرات المرَّات و لكِن كانوا لي بالمرصاد..
سجنوني في غرفتي لبعض الوقت.. بدأت أتخيل أنني ملكة عصرِي.. كل فترة كنت أقابل أُناسًا.. أحببتهم و أحبوني، أعتقد أن طوق نجاتي بيدهم.. و لكن كانت نهاية كل قصة بائسة..

يأتي ذلك الحقير ليفسدها و يجعلني أموت بالبطئ.. لقد رأيت المُرَّ بجميع أشكاله.. كانت تلك الهلاوس التي تأتيني هي التي تأنسني في وحدتي، لم يبالِ بي أحد.. أصبحت وافدة في هذا العالَمِ المرير.."

بعد سماعي للقصة تأثرتُ قليلًا.. كان تشخيصُ حالتها سهلًا و لكن علاجُها الأصعب..
ببساطة، ما كانت تعاني منه هو مرضٌ حديث الاكتشاف، و هو (Multiple personality disorder) و بالعربية هو مرض تعدد الشخصيات.. المريض بديصاب بصدمة قوية في حياته، فيدخل في نوبة إكتئاب حاد قد يصل إلى الانتحار!
المحظوظ هو من يبقى على قيد الحياة..
بعد ذلك.. يبدأ العقل الباطن باستحداث شخصية جديدة و في بعض الأحيان تكون عدة شخصيات، و تبدأ الشخصيات في التحكم في الجسد!

مضاعفات ذلك المرض هو عندما تعتقد إحدى الشخصيات أنها الشخصية الأساسية للجسد، حينها يحدث صراع داخلي رهيب.. من الممكن ان تتحكم في يدك اليمنى و اليسرى تتحكم شخصية أخرى بها!!

في تلك اللحظات.. وصل الطلب!

كنت جائعًا حينها فانهمكت في الأكل و تَركتُ باقي الجلسة حين الانتهاء..

نظرتُ إليها و هي تأكلُ بشراهة.. لا تبالي بما حولها.

عند نظري إليها تلاقت عينانا.. كانت ملامحها بريئة للغاية. أتلك إنسية؟

لا أظن، بالتأكيد إنها من الحور العين و قد نزلت من السماء لتسلب عقولنا و قلوبنا من جمالِها.. سرعان ما تداركتُ نفسي و غيرت موضع نظراتي..

بعد أن انتهينا..

طالبتُها بالاسترخاء و التمدُّد..

ثم بدأت اتفوه ببعض الكلام الذي يبعث على الطمأنينة و الاسترخاء.. و بعد مدة سألتُها "كيف أنتِ الآن؟"

فردت بأنها بصحة جيدة..

نصحتُها ببعض المهدئات، و أن لا تُجهِدَ نفسها، و وضعت ميعادًا للمتابعة..

قررتُ أن أتصل بالرقم الذي قد تُرِك لي..

ردَّ عليَّ رجلٌ و سألني بلهفة "هل أنت الطبيب النفسي؟"

فرددت عليه و قلتُ لأطمئنه "نعم إنه أنا. لُطف أصبحت بحالة جيدة نسبيًا و الحمدلله"

اتصلت على ذلك الرقم لكي أضمن مأوى للُطف، فلن أستطيع أن آتي بها لمنزلي، حينها ستبغض أمي عليّ..
رجوت من الله في اتصالي هذا أن يرق قلب ذلك الرجل و يعاملها بطريقة رحيمة.

دخلت للمطبخ، لأُحَضِّر بعض عصير الليمون.. بدأت في شطره بالسكين ثم عصره و إضافة الماء ثم السكر.
ها هو صار جاهزًا..

أعطيت كوبًا للُطف حتى ترتوي قليلًا حتى مجيء الرجل، مرَّت بعض الدقائق، سمعت صوت دَبِّ أقدام.. حتى وقف ذلك الرجل أمام الباب.. نظرت لُطف إليه و ملامح الغيظ تملأها..
أمسَكَت بإحدى أقلامي و هرولت إليه و هي تقول "فلترحل أيها اللعين!"

فجأة وقع ذلك الرجل أرضًا و بدأ جسده يهتز بقوة.. أسرعت لأعرف ما السبب، فوجدت القلم قد غُرِزَ في قلبه!!

قُمتُ من مكاني لأطلب الإسعاف..

الآن أنا أنتظر مجيئهم.. نظرت إلى لطف فوجظتها سعيدة و دموع الفرحة تملأ وجنتيها.. و تكرر في صوت خافت "أخيرًا.. تحررت من ذلك السجن"

•••••••••

ذهبت إلى المستشفى و وقفت خارج غرفة العمليات و أنا أنتظر نتيجة ما حدث.. خرج الطبيب و نظراته كلها يأس و حزن.. و قال "قلبه لم يتحمَّل، لقد اخترقه القلم و دُسَّ فيه بعض الحِبر."

أحيلَت لُطف إلى النيابة، و قد ذهبت هناك صحبة محامي؛ لإثبات أنها مريضة نفسية.

بعد عِدَّة دقائق من بداية الجلسة، طرق القاضي بمطرقته ثم أتبع قائلًا "حكمت المحكمة حضوريًا، بإحالة المتهمة لُطف كرم الشوربجي.. إلى مستشفى الأمراض العقلية.. حتى تشفى تمامًا. رُفعَتِ الجلسة!"

كنت أعتاد في كل يوم، أن أذهب للُطف و أجلس معها بعض الوقت و أطمئنها.. فهي لا تملك أحدًا في الوقت الحالي عداي..

مرت سنتان على ذلك الوضع، ثم خرجت لُطف بتصريح من إدارة المستشفى.

بعد فترة.. أقنعت أمي ببيات لُطف معنا و شرحتُ لها القصة بالتفصيل المُمِل.. أفضل ما في الأمر، أني حين أفتح معها ذلك الموضوع، ترد قائلة "ربنا يتمملك على خير"

عُقِد قراني على لُطف بعد خروجها بفترة قصيرة..
شعرت أنني قد احتويت كل سعادة العالم.. مهما وصفت فلن أعطي الوصف حقه.. لا أعلم كيف حدث هذا و لكن الحمدلله على كل شيء..

تمت بحمد الله